الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-
كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Sciences Sociales et Humaines

جامعة البويرة

قسم علم الاجتماع

مطبوعة بيداغوجية في مقياس:

النظريات المعاصرة في علم الاجتماع

موجهة لطلبة السنة الثالثة علم الاجتماع العام

انجاز: د/- خاوص مليكة

السنة الجامعية: 2023/2022

فهرس المحتويات

مقدمة .....أ

المحاضرة الاولى : النظرية الوظيفة الجديدة

اولا : مفهوم و نشأة الوظيفية الجديدة.....7

ثانيا: منظورات رواد الوظيفية الجديدة.....9

1- تصور ألكسندر جيفري للمنظور الوظيفي الجديد.....9

2- تصور نيكولاس لومان للمنظور الوظيفي الجديد.....12

المحاضرة الثانية: نظرية الصراع بعد ماركس(رالف داهرندوف ،لويس كوزر،راندال كولينز)

أولا: مدخل عام حول منظور الصراع الجديد.....13

ثانيا: المداخل الصراعية الجديدة.....15

1- تفسير الصراع عند داهرندروف.....15

2- تفسير الصراع عند لويس كوزر.....19

3- تفسير الصراع عند راندل كولينز.....21

المحاضرة الثالثة : نوربرت الياس و البنيوية التكونية

اولا : اهم اعمال وتصورات نوربرت الياس.....23

1-مفهوم السوسيولوجيا.....24

2-التصورات السوسيولوجية لنوربرت الياس.....26

3-مفهوم الهابيتوس.....30

4-النقد الموجه لنوربرت الياس.....31

ثانيا: البنيوية التكونية.....34

المحاضرة الرابعة: البنيوية الجنينية لبيار بورديو

اولا: المنطلقات الفكرية للبنيوية الجنينية لبيار بورديو.....35

ثانيا: الاقتراب المنهجي و المفاهيمي للبنيوية الجنينية لبيار بورديو.....38

المحاضرة الخامسة : البنية الاجتماعية للواقع برجر ولوكمان

اولا :المنطلقات الفكرية لبرجر ولوكمان.....47

ثانيا: المرتكزات الأساسية لأطروحة برجر ولوكمان.....49

المحاضرة السادسة : البنيوية الانعكاسية الاجتماعية لانطوني جيدنز

اولا : إسهاماته وحياته العلمية.....50

ثانيا : نظرية الهيكلة و الازدواجية البنائية.....51

ثالثا: التقليدية والحداثة 54

رابعا: مفهومات انطوني جيدنز.....56

المحاضرة السابعة: التفاعلية الرمزية

اولا : تعريف التفاعلية الرمزية.....61

ثانيا : بعض الاعمال لتفاعلية الرمزية المعاصرة.....62

-التحليل المسرحي اعمال ايرفينج قوفمان.....62

-ظاهرة الانحراف اعمال هوارد بيكر.....65

- علم اجتماع العواطف اعمال ارلي رسل هوشيلد.....68

-الفكر النسوي للسود اعمال باتريشيا هيل كولينز.....71

المحاضرة الثامنة : علم اجتماع العلوم

اولا :علم اجتماع العلوم (مفهومه، نشأته ،تطوره).....74

ثانيا: علم اجتماع العلوم وعلم اجتماع التقنية.....78

المحاضرة التاسعة: علم اجتماع الفعل: يورغن هابرماس(تكامل نظريتي الفعل والنظم)

اولا : منطلقات الفكرية لنظرية الفعل التواصلي عند هابرماس.....97

ثانيا: نظرية الفعل الاتصالي عند هابرماس.....80

المحاضرة العاشرة: علم اجتماع الجسد

اولا: مفهوم سوسيولوجية الجسد.....83

ثانيا: المسار التاريخي للجسد كموضوع سوسيولوجي.....85

1- الجسد في النظرية الاجتماعية الكلاسيكية..... 87

2- الجسد في النظرية الاجتماعية المعاصرة.....91

ثالثا: مفاهيم علم اجتماع الجسد.....94

المحاضرة الحادية عشر :النظرية النسوية

اولا : تعريف النسوية.....97

ثانيا: النظرية النسوية.....99

1- النظرية النسوية اللبيرالية.....99

2- النظرية النسوية الرادكالية(المتطرفة).....100

3- النظرية الماركسية النسوية.....101

المحاضرة الثانية عشر : نظرية الاختيار العقلاني

اولا: الجدور الفكرية 102

ثانيا: المبادئ الاساسية لنظرية الاختيار العقلاني.....105

المحاضرة الثالثة عشر: مستقبل النظرية السوسيولوجية(الحداثة وما بعد الحداثة)

اولا: الجدور الفكرية للحداثة.....109

ثانيا: الجدور الفكرية ما بعد الحداثة.....111

الخاتمة

قائمة المراجع

مقدمة

ان غاية البحث العلمي في أي ميدان بناء معرفة علمية تشمل التعميمات والنظريات والقوانين التي يمكن ان تعبر عن حقيقة الواقع و تساعد الانسان على فهم هذا الواقع وتفسيره بما يمكن ان يكون اضافة الى ترشيد تطبيقاتها العلمية .

هذا والمعرفة عملية اجتماعية دينامية تتراكم وتتطور بالحوار ولهذا فان اكتسابها ضرورة في تكوين الباحث والمختص على معرفة ما تم انجازه نظريا ومنهجيا و تعتبر النظرية اساس توجيه المعرفة العلمية و العمود الفقري للأبحاث السوسيولوجيا حيث تسمح للباحث بحصر موضوعه في إطار نظري معين وتزوده بالأدوات المنهجية التابعة لهذا البناء من أجل فهم ودراسة المتغيرات المتحكمة في الظواهر الاجتماعية، والتنبؤ بها والمحاولة في التحكم فيها.

وعلى اساس اكتساب و التوجيه المعرفي لنظريات المعاصرة في علم الاجتماع أدرجنا هذا العمل المتواضع في شكل مطبوعة بيداغوجية، والتي تتضمن محاضرات موجهة لطلبة الثالثة علم الاجتماع، في مقياس نظريات المعاصرة في علم الاجتماع الحديثة(مقياس سداسي) نهدف من خلاله تزويد الطالب بالمعارف الضرورية والكافية في مقياس النظريات المعاصرة، من خلال تقديم عرض مفصل لمختلف النظريات المعاصرة، حسب ما تم تصنيفها من قبل الوزارة ،حيث يمكن للطالب تكوين رؤية نظرية شاملة في علم الاجتماع، والتعمق في فهم وتحليل النظريات المعاصرة.

والماما بالمقياس، توزع محتوى المطبوعة ثلاثة عشر محاضرة (نظرية الوظيفية الجديدة (جيفري الكسندر– نيكولاس لومان)،نظرية الصراع بعد ماركس (رالف داهرندورف،لويس كوزر ،راندال كولينز)، البنيوية الانعكاسية لأنطوني جيدنز ، بيير بورديو و البنيوية الجنينية، نوربرت الياس والبنيوية التكوينية والتفاعلية الرمزية(قوفمان،بيكر ،أرلي رسل هوشيلد،باتريشيا هل كوليتز)،علم اجتماع العلوم ،علم اجتماع الفعل يورغن هابرماس ،علم اجتماع الجسد ،النظرية النسوية ،نظرية الاختيار العقلاني ،مستقبل النظرية السوسيولوجية

(حداثة وما بعد الحداثة))، وتصب جلها حول النظريات التوليفية التي ستتدمج النظريات المتحيزة و التي تعالج مختلف القضايا التمس الواقع الاجتماعي المعاصر

واخيرا قمنا بعرض قائمة تتضمن المراجع التي اعتمدنا عليها في انجاز هذه المطبوعة.

الحمد والشكر لله العلي القدير على انجاز هذا العمل.

د/خاوص مليكة

المحاضرة الاولى: النظرية الوظيفة الجديدة

اولا : مفهوم و نشأة الوظيفية الجديدة

الوظيفية الجديدة تمثل ميلا نظريا وليس نظرية متطورة فهي تمثل في حقيقتها مسارات وطرق مختلفة للعمل النظري انطلاقا من أطروحة بارسونز و ظهرت في ثمانينات القرن الماضي في أمريكا و المنيا و ابرز رودها جفيري الكسندر ،نيل سلمسر، ونيكولاس لومان.

وضع الكسندر "مصطلح الوظيفة الجديدة ليشير الى الجهود المبذولة في اعادة بناء الوظيفية على المستويين النظري و الانبريقي من خلال إعادة تفسيرات أطروحات بارسونز ،وقبول تصنيفاته على أنها أدوات مساعدة على الوصف والتخلي على فكرة النظرية التفسيرية لتغلب على بعض نقاط الضعف في النظرية الوظيفية البنائية وتبثث لنفسها مكانا كنظرية جديدة ،وقد جاءت هذه المحاولات التجديدية نتيجة تطور المعرفة في علم الاجتماع ،واستجابة للتغيرات الموضوعية في الحياة الاجتماعية ،فهي تحاول التوليف بين النظريات الشاملة والنظريات الصغرى ،ومعالجة العلاقة بين الفعل والنظام والصراع و الثبات والبناء الاجتماعي والثقافة[1] "

كما ان منظور الوظيفي الجديد ارتبط بنزعة تطبيقية لمواجهة مشكلات التكيف و اعادة التوازن الاجتماعي للانساق التي يتكون منها المجتمع ،ويؤكد هذا المنظور ان المجتمعات تتجه نحو التوازن الذي يعتبره الكسندر على انه توازن متحرك كما يؤكد على ان القوى المكونة لنظام الاجتماعي تعمل على تخفيف حدة الانحرافات و التوترات داخل المجتمع كما ان كل نظام قابل للتغيير التدريجي والمستمر طبقا للحاجات والمتطلبات التي تشبع رغبات افراد المجتمع واختلافها تبعا لاختلاف المكان والزمان[2] ،كما تقوم على التعامل مع الظواهر الاجتماعية من زاوية وظيفتها (وظيفة التنشئة الاجتماعية للعائلة ،والطقوس .لخ) دون الالتفات الى نظرة عضوية مندمجة بالكامل عن المجتمع.

---

[1] ابراهيم عيسى عثمان : النظرية المعاصرة في علم الاجتماع ، عمان :دار الشروق لنشر والتوزيع ، ط 1 ، 2008 ، ص74

[2] طلعت ابراهيم لطفي ،كمال عبد الحميدات الزيات : النظريات المعاصرة في علم الاجتماع ،القاهرة :دار غريب لطباعة والنشر والتوزيع ،1999، ص69

يؤكد ألكسندر جيفري في كتابه "الوظيفية الجديدة وما بعدها "Neofunctionalism and after أن المعركة ضد البارسونية قد حسمت عام 1980 ، فنظريات الصراع، التبادل والتفاعل والإثنوميتودولوجي والنظرية الماركسية أبرزت قضايا هامة بينت ضعف الطرح البارسونية في نواحي متعددة وتمثل وجهة نظر ألكسندر أننا نعيش اليوم في مرحلة ما بعد البارسونية في التنظير السوسيولوجي وهي تمثل حركة توليفية تحاول الربط بين نظريات بعيدة المدى ونظريات قصيرة المدى[1]،بهدف تقديم وصف عام للعلاقات المتبادلة، متجسدة في فكرة التوازن ؛بوصفها نقطة مرجعية وليس بوصفها شيئا موجود في الواقع ،فتوازن هو دائما توازن متحرك ،وهذا ما يفسر استعمال مفهوم التوازن الدينامي واعتبره من أهم المفاهيم وأعاد بربط المستوى النظري بنتائج الدراسة الميدانية كوسيط لدمج النظريات المتحيزة والمتحاربة فقام الكسندر "بدمج نظرية الصراع مع نظرية الوظيفية وأشار إلى أربعة أوجه تشابه بين الوظيفية الجديدة و الماركسية الجديدة من حيث النقد لنظرية الأصلية ودمج لعناصر من تقليد نظرية متعارضة وكل واحدة منهم تتضمن تنوعا لتطورات متنافسة أكثر من كونها شكلا واحد متسقا ويعتبر الكسندر إن النظرية الجديدة تمثل ميلا نظريا أكثر من نظرية مطورة وقد عمل على تفضيل الميول والغايات المتنوعة للوظيفية الجديدة على الاوجه الأتية:

-تحليل الظواهر من أبعاد مختلفة ؛

-رفض التفاؤل بالحداثة (اتجاه يساري)؛

-مناقشة التوجه الديمقراطي الضمني في التحليل الوظيفي ؛

-استدماج منظور الصراع؛

-استدماج التفاعلية الإبداعية والتأكيد عليها [2] " .

---

[1] محمد عبد الكريم الحوراني : النظرية المعاصرة في علم الاجتماع التوازن التفاضلي صيغة صيغة توليفية بين الوظفية والصراع ، عمان :دار المجدلاوي لنشر والتوزيع، 2008، ط1،ص123

[2] رث والاس ،السون وولف :النظرية المعاصرة في علم الاجتماع تمدد افاق النظرية الكلاسيكية ، تر: محمد عبد الكريم الحوراني، عمان :دار المجدلاوي لنشر والتوزيع ، 2011 ، ص (113-114)

إن الوظيفية الجديدة تقبل التركيز البارسونزي التقليدي على الشخصية والثقافة والنسق الاجتماعي ولكن تكون هذه حيوية للبناء الاجتماعي فان التداخل بينها يولد توترا له تأثيره المتواصل على التغير الاجتماعي والضبط معا، كما تركز الوظيفية الجديدة على التغير الاجتماعي في عمليات التباين ضمن الأنساق الاجتماعية ونسق الشخصية ونسق الثقافة وبالتالي فإن التغير ليس منتجا للتماثل والانسجام بل بدلا من ذلك ينتج التوترات الفردية والمؤسسية ، كما تعاني الوظيفة الجديدة مشكلة اساسية و هي الاحتفاظ بالانتقادات التي وجهت الى تالكوت بارسونز اكثر من الاحتفاظ بمقولاته او الاحتفاظ بكل مقولته والانتقادات الموجهة اليها في ان معا ولذلك من اللائق استخدام علم الاجتماع متعدد الابعاد اكثر من الوظيفية الجديدة ويصف كريب الوظيفية الجديدة بانها تمثل نوعا من الصراع الداخلي للنظرية[1] ، وكذلك السعي نحو ردم الهوة بين المستويات النظرية المختلفة و القضاء على حالة الجمود والتكلس التي تبقى على انحياز النظريات السوسيولوجية وتبعثرها .

ثانيا: المنظورات رواد الوظيفية الجديدة: تتمثل في

1- تصور ألكسندر جيفري للمنظور الوظيفي الجديد

يعتبر ألكسندر جيفري أن الانتقال من الوظيفية الكلاسيكية قد اكتمل لان شرعية بعض اهتمامات بارسونز قد رسخت وتأسست تماما، وعليه فإن الوظيفية الجديدة نجحت في تحقيق الاعتراف ببارسونز كواحد من أعلام علم الاجتماع الكلاسيكيين، وهذا يعني أن الموقف النظري لدى بارسونز رغم بروزه وتفوقه تاريخيا، لن يسيطر على الأعمال النظرية المعاصرة ويضيف ألكسندر بأن أفكار بارسونز لا تقل عن بعض الإنجازات الحاسمة لدى منظرين كلاسيكيين آخرين.

ومن وجهة أخرى يتمسك ألكسندر جيفري إلى الوظيفية باعتبارها تيارا حيويا في الأعمال المعاصرة وإنها تمثل خيطا قويا في نسيج الحركة النظرية الجديدة بالإضافة إلى ذلك يتوقع أن تستمر الوظيفية الجديدة في إنتاج

[1] نفس المرجع ، ص125

دراسات سوسيولوجية خلاقة وهامة، ولكنه يؤكد بأن النجاح الأساسي للوظيفية الجديدة يقع ما وراء نطاقها كذلك (بمعنى أن الوظيفية الجديدة جاءت لحل المشكلات التي تضمنتها الوظيفية الكلاسيكية) ومن بينها الخصومة مع التغيير والميل نحو المحافظة والمثالية وخطأ الامبريقية و اللافردية هذا ما ادى لظهور حركة نظرية جديدة و انبثاق نظريات متولدة سياسيا مثل. الحركة النسوية، والتعددية الثقافية، والمجتمع المدني، وما بعد الاستعمارية.

إن انفصال ألكسندر عن بارسونز من حيث تركيزه على التوازن في مستوى بعيد المدى يبدو واضحا في قوله": إن الطبقات الثقافية المتولدة عن الحياة الاقتصادية والأوليجاركيات المتولدة عن القوى السياسية والتنظيمية والنوع الاجتماعي والسن في الأسر، والإيمان بالشياطين الذي يستمد شرعيته من المؤسسات الدينية بصورة متكررة، وأشكال الهيمنة الإثنية والإقليمية والعرقية المتولدة عن التشكيل البنائي الأساسي للدويلات الأهلية الوطنية، إن جميع مثل هذه الترسبات، تجزئ المجتمع المدني وتمزقه حتى عندما يعود وجوده الأساسي باستعادة الكل الاجتماعي وتفعيل مشاركته "[1].

إن الصحف اليومية عبر العالم تزخر بالأمثلة لمثل هذه الترسبات والانقسامات المدمرة في حياة الفقراء والأغنياء والوالدين والأبناء والأزواج والزوجات ورجال الدين والعامة والأقليات وعبر الأبعاد العرقية والإثنية والإقليمية وفي كتابه الحديث الموسوم ب"معاني الحياة الاجتماعية" علم الاجتماع الثقافي

the Meaning of " Social life : A Cultural Sociology

ينظر ألكسندر جيفري إلى الثقافة باعتبارها متجسدة في كل من المؤسسات الاجتماعية والشخصيات الإنسانية ويستخدم سلسلة من الدراسات الامبريقية تمتد من الهولوكوست Holocauste إلى وترجيت Watergate

[1] نفس المرجع ، ص 115

ليوضح كيف أن الأنماط العميقة للمعنى يمكن أن تساعدنا في فهم قوة العنف والانحلال، وكذلك استمرارية وجود الأمل[1].

لقد قدمت الوظيفية الجديدة بعض الاتجاهات الأساسية حيث تعاملت مع نموذج وصفي للمجتمع ترى في المجتمع مركبا من العناصر المتفاعلة مع بعضها البعض والتي تشكل نمطا وهذا النمط يسمح للنسق بأن يكون متباينا أو متفاضلا مع بيئته، بعض أجزاء هذا النسق مترابطة رمزيا وتفاعلها ليس محتما بقوى مهيمنة وبالتالي فإن الوظيفية الجديدة ترفض أي حتمية سببية وحيدة الجانب وأنها عكس ذلك تعددية.

ويضيف ألكسندر الى ضرورة الجمع بين المستويات المختلفة في البناء الاجتماعي ،بما يتطلب معالجة المستوى الفردي والجماعي و العلاقة بين البناءات والنظم لتحقيق نظرة متكاملة [2] ، كما أن الوظيفية الجديدة تولي الاهتمام ليس ،للفعل العقلاني فقط بل للفعل التعبيري أيضا، وترى أن الاهتمام بالتفاعل ليس كحقيقة مجزئة بل هو احتمالية اجتماعية وأن الانحراف والضبط الاجتماعي هي حقائق داخل الأنساق الاجتماعية وهناك اهتمام بالتوازن داخل الوظيفية الجديدة كنقطة مرجعية في التحليل الوظيفي وعليه فقد اعتمد الوظيفيون الجدد فكرة التوازن المتحرك في تحليلهم الوظيفي[3].

ويشير ألكسندر جيفري إلى أن الوظيفية الجديدة تتضمن حالات إلى أشكال مفاهيمية ونظرية مستمدة من مستويات التحليل السوسيولوجي الأخرى ومثال ذلك أن بارسونز "عرف الفعل باعتباره حركة لأشخاص حقيقيون، وفعالون، ويتنفسون وهم يشقون طريقهم عبر الزمان والمكان بالإضافة إلى ذلك عندما يؤكد ألكسندر جيفري بأن كل فعل يتضمن بعدا من أبعاد الإرادة الحرة أو القوة فإنه بهذا الإجراء يمد نطاق الوظيفية لتشمل بعض اهتمامات التفاعلية الرمزية[4] "

---

[1] نفس المرجع، ص116

[2] ابراهيم عيسى عثمان ،مرجع سابق ،ص77

[3] بتصرف من محمد عبد الكريم الحوراني ،مرجع سابق ، ص124

[4] رث والاس ،السون وولف ، مرجع سابق، ص116

2- تصور نيكولاس لومان للمنظور الوظيفي الجديد

يعد نيكولاس لومان من المنظرين الالمان الذي درس على يد بارسونز بجامعة هارفرد، اقترح لومان تعديلا عميقا للنظرية الوظيفية بفضل قراءته كل ما كتب من نظريات في علم الاجتماع لا سيما ما كتبه تالكوت بارسونز عن نظرية الأنساق و السيرنطيقا ...كما استعان على مجموعة من المصطلحات المفتاحية عند دراسة هذه النظرية ومن اهم هذه المصطلحات التمييز والتواصل و التكوين الذاتي وهناك المراقب والمراقبة[1] كما تكشف نظرية لومان عن الجوانب المعقدة في الحياة الاجتماعية المعاصرة ووضع الفرد فيها، أساس التحليل حسب لومان فإن نظرية بارسونز تفتقد إلى مفاهيم مرجعية الذات وتخلو من التعقيد وقد مثل عمله محاولة لصياغة نظرية عالمية أو كبرى للأنساق الاجتماعية تندمج فيها هذه المفاهيم[2].

يشير لومان إلى أن النسق الاجتماعي يوجد "حيثما كان هناك أفعال ذات معنى لعدة أشخاص، وكانت هذه الأفعال مترابطة... ومن ثم تكون منفصلة عن البيئة" وهكذا فإن النسق الاجتماعي ينبثق حيثما وجد تفاعل بين الأفراد وحسب لومان هناك ثلاثة أنماط من الأنساق الاجتماعية وهي: أنساق التفاعل (تفاعلات الوجه للوجه للبشر) وانساق التنظيم(حيث يتم ربط العضوية بظروف محددة) والانساق الاجتماعية (كل ما يطوق النسق الاجتماعي والمجتمعات الكلية)،حسب ما يرى لومان تمثل مراجعة الذات ظرفا لعمل النسق بطريقة فعالة، ويعني أن النسق قادر على ملاحظة ذاته وعلى ما يفعل، ويستطيع أن يتخذ قرارات نتيجة لهذا الانعكاسية تمتلك الأنساق التغذية الراجعة للذات القدرة على رسم الخطوط الكبرى لهوياتها ذاتها، إنها تستطيع وصف ذاتها من خلال وضع حدود حسب ما تكون وما لا تكون، بمعنى أخر إن النسق يمتلك استقلالا بنائيا ، وتحصل مراجعة الذات، من وجهة نظر لومان في جميع الأنساق الفرعية مثل النسق السياسي، والعلم والاقتصاد والأسرة والتربية والقانون. ويقدم لنا مثال أعلى مراجعة الذات من قبل النسق عندما يقول بأن النسق العلمي ينعكس على ذاته بالتنظير الجوهري، ومن خلال قراءته ومتابعته أو عدم

[1] نيكولاس لومان: مدخل الى نظرية الأنساق، تر: يوسف فهمي حجازي، بغداد منشورات جمل، ط1، 2010، ص6

[2] رث والاس، السون وولف ، مرجع سابق، ص119

متابعة تقاليده المعطاة تاريخيا، "إن الأنساق المراجعة للذات ليست فقط أنساقا منتظمة أو أنساقا متسقة ...إنها توجد كشبكة مغلقة لإنتاج العناصر التي تعيد إنتاج نفسها وذلك من خلال استمرارها في إنتاج العناصر المطلوبة لاستمرارية إنتاج العناصر [1]"

يتلخص موقف لومان في أن الموضوع الإنساني أو جماعة اجتماعية محددة لم تعد تشكل النقطة المركزية في الفكر الاجتماعي، ولا يمكن أن تعامل الأنساق على أنها تتكون من بشر بل من وحدات اتصال وتواصل أما الأفراد فهم مجرد جزء من بيئة النسق الاجتماعي.

إن مهمة الأنساق هي اختزال التعقيد ومن ثم فنظرية بارسونز لا تقدم إلا القليل من المصادر لتدبير التعقيد وكلما كان التعقيد أكبر كلما يعني ذلك وجود خيارات وإمكانيات بصورة لتدبير التعقيد وكلما كان التعقيد أكبر يعني ذلك وجود خيارات وإمكانيات بصورة أكبر ، إن لومان لا يبدو متفائل مثل بارسونز بالمستقبل، وان المجتمع الحديث معقد الى حدث كبير بالنسبة للمعايير المشتركة او حتى تعميم القيمة ان المجتمع يواجه تحديات الناتجة من خيارته البنائية مثل مشكلات البيئية الناتجة عن العقلانية و يوضح بان المجتمع الحديث الموجه بالمخاطر لا يمثل نتاجا الانجاز التكنولوجي بل بذرته موجودة في توسيع امكانيات البحث و في المعرفة ذاتها[2] .

المحاضرة الثانية : نظرية الصراع الجديدة (الصراع بعد ماركس)

أولا :مدخل عام حول منظور الصراع الجديد

إن نظرية الصراع الجديدة أو الماركسية الحديثة كما يعرفها البعض تنطلق من الحقائق الجديدة التي يفرزها الواقع أو بعبارة أكثر دقة تتعامل مع القوانين النوعية للتطور الاجتماعي وكان منظور الصراع السائد الذي يوجه رؤيتهم للمجتمع عندما شهد العالم بين الحربين العالميين وبعدهما مشكلات و تحركات (منها استمرار

[1] نفس المرجع ،ص120

[2] نفس المرجع، ص 123

الحروب و النزعات العالمية و المحلية و استمرار ظهور الكوارث الاقتصادية و التناقض بين مستوى المعياري الذي تفرضه الدولة و الواقع الفعلي في عالم الحياة ،وزيادة الهوة بين الأغنياء والفقراء على مستوى مجتمع الدولة وبين المجتمعات وعلى مستوى العالمي ،إضافة إلى التوسع في أنماط الاستهلاك ،و ظهور اليسار الجديد بسبب التميز العرقي، تعاظم القوة السوداء ،وحركات العنصر النسوي، موجات التحرر ، الحرب الباردة ، المد الشيوعي ، الوعي الطلابي ، حركات ضد التمييز العنصري ، الحقوق الجندرية ، تزايد الهوة بين الطبقات ...الخ) التي أدت إلى ضرورة العودة و الأخذ بالتراث الماركسية ولكن بتعديلات وتصورات جديدة تنسجم مع الواقع الجديد[1] ؛

وقد قام أصحاب المنظورات الجديدة بتعريف الصراع بشكل أكثر اتساعا من تعريف ماركس ، الذي كان يعتقد أن الصراع بين الطبقات الاقتصادية يعد قوة أساسية في المجتمع في حين يرى هؤلاء المنظرين أن الصراع هو صراع اجتماعي قائم بين أية جماعات أو أجزاء في المجتمع ينقصهم الشعور بالمساواة ، ومن تم ظهر التصور الجديد لنظرية الصراع كحركة نقدية للنظريات الشمولية الكبرى لعلم الاجتماع المتمثلة في الوظيفية والصراع، حيث يشير مؤسسو النظريات التوليفية إلى أن كلا هاتان النظريتان تنتميان إلى عالم اليوتوبيا إذ أن لابد من إعادة صياغة نظرية مجتمعية تتضمن الصراع والتوازن والنظام معا، فالمجتمع لا يمكن أن يعيش في صراعات وحروب دائمة ولا في توازن مستمر ، وعليه اهتمت منظورات الصراع الجديدة بدراسة الصراع بين مختلف الجماعات التي يمكن تحديدها عن طريق الطبقة ، أو السلالة ،أو الولاءات أو المعتقدات الدينية ،النوع (الجنس)،أو محل الإقامة ،أو السن ، أو أسلوب حياة أو الجماعات الأثنية (كالصراع بين البيض والزنوج ،بين النساء والرجال ،بين الشباب وكبار السن ، بين الجماعات الدينية وأخرى ....لخ) [2] ،وعلى هذا الأساس برز اتجاهان رئيسيان يمثل الاتجاه الأول ممن استمروا في اعتبار الصراع

---

[1] ابراهيم عيسى عثمان ،مرجع سابق ،ص153

[2] طلعت ابرهيم لطفي ،كمال عبد الحميد زيات، مرجع سابق،ص100

الطبقي قائم وموجود، بينما الفريق الثاني لأصحاب المدرسة النقدية آخذين بدور الحركات الاجتماعية كتجمعات جديدة في عملية الصراع [1].

ثانيا :المداخل الصراعية الجديدة (رالف داهرندوف ،لويس كوزر،راندال كولينز)

ظهرت عدة رؤى جديدة في دراسة الصراع وذلك كحتمية اجتماعية سنتناول منها ما يلي:

1. تفسير الصراع عند داهرندروف (Ralf Dahrendrof) :

يعد داهرندروف من الأوائل الداعيين للنظرية الصراع الحديثة التي تقوم جزئيا على النظرية الماركسية وعلى النظرية الوظيفية و هو عالم اجتماع الماني ولد في هامبورج سنة 1929 وكان والده من الديموقراطيين الاجتماعيين و تحصل على درجة الدكتوراه من جامعة هامبورغ الالمانية 1952 و شهادة دكتوراه ثانية من جامعة لندن عام 1957 وعمل كأستاذ في الجامعات الالمانية والبريطانية ونشر عدة مؤلفات اهمها كتاب الطبقة والصراع الطبقي في المجتمع الصناعي الذي صدر عام1959[2] ، يجادل داهرندروف بإصرار المخطط البارسونزي بصفة خاصة والوظيفية بصفة عامة من حيث رؤيتهما للمجتمع على صورته المتكاملة والثابتة في حين ينظر هو إلى المجتمع بصورتين لعملة واحدة أحدهما يحمل الاجماع والثاني يحمل الصراع.

يعتبر داهرندروف الصراع شيء جوهري لأي تنظيم اجتماعي حيث يوجد تفاوت مقبول في السلطة بين الجماعات المختلفة، وهذا الصراع يتضمن فكرة ماركس عن الصراع الطبقي، إلا أنه يشمل أيضا الصراع بين الجماعات لأسباب أخرى تختلف عن امتلاك وسائل الإنتاج حيث يمكن للصراع أن يمتد بين من يقومون بأعمال السكريتارية وبين المديرين في الشركة بالرغم من عدم امتلاك أي أحد فيهم لوسائل الإنتاج[3] بمعنى

---

[1] ابراهيم عيسى عثمان ، مرجع سابق ، ص91

[2] احسان محمد الحسن : النظريات الاجتماعية المتقدمة "دراسة تحليلية لنظريات الاجتماعية المعاصرة "،دار وائل لنشر ،ط3 ، 2015 ،ص139

[3] طلعت ابرهيم لطفي ،كمال عبد الحميد زيات ، مرجع سابق ،ص100

أن الصراع يمتد إلى داخل التنظيمات غير الاقتصادية كتحليل الصراع بين الآباء والأبناء، والصراع بين المدرسين والطلاب في المدرسة .وهكذا يصبح الصراع ليس منظور تاريخي كما يتضح في تراث هيجل وماركس بل هو عملية أخرى يستطيع المجتمع بواسطتها صنع التكيف والاندماج والتوازن من أجل أن يبقى ويستمر؛

وعليه فلقد كانت افكار داهرندروف واتجاهه في نظرية الصراع يقوم على مراجعة ونقد التوجه الماركسي في تفسيره للصراع الاجتماعي – اين يستبدل الصراع من أجل علاقات الانتاج الاقتصادي الى الصراع من اجل علاقات السلطة والقوة السياسية اين يستند في هذه الرؤية ويحددها في المجتمع الذي يسميه مجتمع ما بعد الرأسمالية في النقاط التالية:

1. لم تعد النظرية الماركسية في الصراع الطبقي تتلاءم مع بناءات المجتمعات الصناعية الحديثة واهم مظاهر هذا التغيير في رأي داهرندروف انفصال الملكية عن الادارة الذي ادى بدوره الى تقليل المسافة بين العامل والمدير واخرج الملاك عن مجال الانتاج. بحيث لم يعودوا يمارسون سلطاتهم الاستغلالية اضافة الى تفتت وحدة الطبقة العاملة فلم يعد كل أفراد البوليتاريا يشغلون مكانة واحدة في المجتمع 1وهنا يركز على مصطلح أشباه الجماعات بدلا من الطبقات فيقول ان توجهات هذه الجماعات تحدد من خلال حيازة السلطة او الاستبعاد منها ومن أشباه الجماعات هذه يجري تجنيد وتكوين جماعات المصلحة والبرامج المفصلة الواضحة للدفاع أو الهجوم على بناءات السلطة الشرعية القائمة وفي أي رابطة معينة نجد صراعا بين هذين التجمعين الذين في السلطة والذين خارج السلطة بمعنى انه يمكن استخدام تحليل الصراع داخل التنظيمات الغير اقتصادية كتحليل الصراع بين المدراء ،الاباء والأبناء، والصراع بين المدرسين والطلاب في المدرسة....لخ[2]؛

[1] احمد زايد: علم الاجتماع النظريات الكلاسيكية والنقدية، القاهرة :دار الكتب المصرية ،1984 ،ص 181

[2] راث ولاس ،مرجع سابق ، ص225

2. يتمسك داهرندروف بنموذج الصراع والتوازن لان المجتمع حسبه له وجهان متساوين الاول يتمثل في الاستقرار والا تفاق العام" التوازن "والوجه الثاني يتمثل في التغيير والتحول" الصراع."ومن هنا حسبه ليس بمقدورنا تصور وفهم الواقع بشكل حقيقي الا اذا وضعنا أيدينا علي التفاعل الجدلي بين الثبات والتغير والتكامل والصراع.

3. كل مجتمع يغير من قيمه ونظمه باستمرار مهما يكون هذا التغيير تدرجيا ا وسرعا او عنيفا او منظما شاملا او محدد ولكن لا يكون افراد المجتمع في حالة توازن دائم ولا يمكن أن يتغيب عن الذهن أبدا أن الأفراد يخلقون تنظيمات ليعيشوا في اطارها سويا متعاونين وهي في حالة التوازن والنظام.

4. كما يؤكد داهرندروف على وجوب اعادة صياغة النظرية الاجتماعية لان نموذج الصراع نستطيع من خلال دراسته الى الوصول لمعرفة التغيير الذي يحدث في المجتمع لان الصراع يمثل القوة التي تصاحب التغيير.

5. كما يؤكد بان كل مجتمع قابل للتغيير وهو عرضة له وان كل عنصر لا يسهم في عدم التكامل داخل النسق يؤدي إلى التغيير فالصراع حسب رالف داهرندروف هو حالة مستمرة بين الطبقات والأفراد تعرفها كل المجتمعات والتي تؤدي الى حالة دائمة من التغيير الاجتماعي وان كان هناك فترات تعرفها المجتمعات يسود فيها نوع من الوئام واستقرار الاجتماعي[1].

لقد حاول داهرندروف بناء نموذج تحليلي للصراع من خلال بيان الشروط أو الظروف الامبريقية الوسيطة المتداخلة والتي تؤدي بالأعضاء في جماعات إلى جماعات صراع وأيضا الظروف التي تؤثر على شدة الصراع(اشتراك أعضاء الجماعة (وعنف التنظيم) درجة التنظيم)للصراع ودرجة ومعدل التغيير الهيكلي نتيجة الصراع .

ولقد افترض نموذج معارض وهو نظرية القهر و وضع افترضتها على النحو التالي :

[1] احمد زايد، مرجع سابق، ص181

– كل مجتمع عرضة لعمليات التغيير

– كل مجتمع يتضمن الصراع والاتفاق وهي عملية شمولية

_ كل عنصر يساهم في عدم التكامل داخل النسق ويؤدي الى التغيير

– كل مجتمع يرتكز على قهر بعض اعضائه للبعض الاخر[1]

كما حاول دراندوف اجراء نوع من التوليف بين بعض الطروحات الصراع ليحصل على فكرة المنظمة المترابطة بالقسر ،التي تجمع بين السلطة والمصالح السلطوية والمعايير و الادوار ،في تكوين نظرية عامة في الصراع ،وعرف السلطة بانها احتمال طاعة اشخاص معينين لقائد جماعة معينة ويحوي هذا التعريف المأخوذ من ماكس فيبر العناصر التالية :

1– تتحدد السلطة من خلال علاقة التفوق والخضوع ؛

2– يحدد الجانب الاعلى للجانب الخاضع بعض مظاهر السلوك في صورة امر او كبح ؛

3– يمتلك الجانب الاعلى للحق في ان يحدد هذا السلوك فالسلطة هي علاقة شرعية بين السيطرة والخضوع ؛

4– حق استخدام السلطة مقصور على جماعات معينة واشخاص معينين؛

5– يقابل الفشل في اطاعة الاوامر بالجزاء ،فهناك نسق قانوني (او عرفي) يضمن استمرار تأثير السلطة[2] .

يتوقف تبلور الصراع بهذا الشكل على بعض الشروط (الظروف) الامبريقية فلا بد من توفر بعض الظروف الاجتماعية مثل امكان الاتصال بين الاعضاء لتكوين الجماعات ،و توفر اساليب للتعبئة و الامداد داخل

[1] محمد عبد الكريم الحوراني ،مرجع سابق ،ص95

[2] احمد زايد، مرجع سابق، ص184

الجماعات ولا بد من توفر بعض الظروف السياسية التي تعمل على ظهور جماعات المصلحة ،واخيرا لابد من وجود بعض الشروط الفنية :مؤسس الجماعة وقائدها ،وايديولوجيتها[1].

2. تفسير الصراع عند لويس كوزر:(Coser. Lewis)

يعد لويس كوزر من بين أصحاب منظور الصراع الحديث وقد تأثر كوزر بالكتابات المبكرة عن الصراع التي كتبها عالم الاجتماع الألماني جورج زميل(1857-1918) ،كان هدفه توضيح و تدعيم المفاهيم المناسبة لبيانات الصراع ومركزا على الوظائف اكثر من المعوقات الوظيفية للصراع الاجتماعي[2] ؛ وتتضمن نظرية كوزر عناصر كل من المنظور الوظيفي ومنظور الصراع، وذلك على النحو الذي يستدل عليه مؤلفه بعنوان وظائف الصراع الاجتماعيles fonctions du conflit social الذي نشره عام 1956 حيث عالج الصراع من منظور اجتماعي عام ،من جوانب الحياة الاجتماعية يوجد في جميع المجتمعات[3]، كما يبين كيف أن النزاع يلعب دورا هاما في الحفاظ على الجماعات التي يظهر فيها .

وقد قام كوزر بتعريف الصراع الاجتماعي بوصفه نضالا حول القيم واحقية المصادر والقوة والمكانة النادرة وحيث يستهدف الفرقاء المتخاصمين من خلاله ،تحييد منافسيهم او الاضرار بهم او التخلص منهم [4] ، أي انه يركز على الفرقاء المتصارعين على القيم النادرة والذين يسعى كل منهم جاهدا الى تحقيق المزيد من مصالحه على حساب الاخرين ،كما قام كوزر بدراسة كل وظائف الصراع والأضرار أو المعوقات أو الخلل الوظيفي الناجم عن الصراع .

---

[1] نفس المرجع ،ص185

[2] علي بن عمر فؤاد الكاشف: النظريات الاجتماعية الاتجاهات والمذاهب الكلاسيكية المعاصرة، نشر شخصي للمؤلف، 2000، ط1، ص131

[3] طلعت ابرهيم لطفي ،كمال عبد الحميد الزيات ، مرجع سابق، ص101

[4] ارفنج زايتلن :النظرية المعاصرة في علم الاجتماع "دراسة نقدية" ،تر: محمود عودة ،ابراهيم عثمان ،الكويت :ذات السلاسل لطباعة والنشر والتوزيع ،1989،ص178

وقد ذهب إلى أن الصراع بين جماعتين يمكن أن يؤدي إلى زيادة الترابط والتماسك الداخلي لكل جماعة ،وهنا يظهر تأثره بالفكر الوظيفي يقول كوزر "يساهم الصراع داخل الجماعة في اقامة الوحدة والاتساق cohésion عندما تكون الجماعة مهددة بالمشاعر العدائية و المتعارضة بين اعضائها ،و تتوقف فائدة الصراع في تحقيق التكيف الداخلي على نمط المسائل المتصارع عليها ونمط البناء الاجتماعي الذي يظهر داخله الصراع[1]، وعليه فالصراع بالنسبة لكوزر مهما تعددت أنماطه وقدراته يسهم في تحقيق الوحدة والانساق بين أفراد المجتمع ، ويؤدي إلى إعادة تكييف المعايير وبناء القوة داخل الجماعات مع حاجات الأفراد والجماعات المكونة للبناء.

وقد ميز كوزر بين نوعين من الصراع :صراع داخلي وصراع خارجي كلاهما مرتبط بالبناء الاجتماعي فالصراع الداخلي قد يكون صراعا مرتبطا بالأهداف والقيم والمصالح الرئيسية للجماعة ،وهذا هو الذي يؤدي إلى التكامل، ومن ناحية أخرى قد يقوم على قيم متنافسة متنافرة حيث لا يتفق طرفا الصراع على مجموعة من القيم تقوم عليها شرعية النسق وفي هذه الحالة قد يؤدي الصراع إلى تهديد البناء الاجتماعي وانهياره إذا لم يستطع البناء تحمل هذا الصراع ويشكله داخل نظمه ،أما الصراع الخارجي فيتصل بصراع الجماعة مع الجماعات الخارجية ومثل هذا الصراع يزيد من التماسك الداخلي لكل جماعة، فهو يحرك كل قوى وطاقات أعضائها نحو مواجهة الجماعة الخارجية، في هذه الحالة تقل الصراعات الداخلية إلى أقصى درجة وهي ان ظهرت تؤدي إلى انهيار الجماعة من خلال الانشقاق أو الهزيمة، تختلف الأبنية الاجتماعية في درجة تحملها للصراع أو درجة تشكله النظامي.

وبصفة عامة في الطريقة التي تسمح من خلالها بالتعبير عن المشاعر العدائية التي تنشأ من التنافس على المصادر النادرة، والهيبة الاجتماعية ومراكز القوة فالجماعات المترابطة والتي يوجد داخلها درجة عالية من التفاعل والاندماج الشخصي في البناء الاجتماعي تميل إلى أن تكبت الصراع مما يؤدي إلى تراكمه وعندما

[1] احمد زايد، مرجع سابق، ص167

يظهر يكون عنيفا وهذا البناء المترابط يختلف عن بناء الجماعة الانقسامية ، حيث يتسع بناؤها (الجماعة الانقسامية)إلى صراعات متعددة تتحرك فيها طاقات الأفراد الى اتجاهات متعددة ومن ثم لا تتجمع في خط صراعي واحد ينفذ خلال بناء الجماعة نفسها وبالمثل يمكن أن نقارن بين بناء الجماعة التي تنخرط في صراع خارجي وتلك التي لا تخبر مثل هذا الصراع، الأولى تكبت الصراعات الداخلية التي لو ظهرت لحطمت الجماعة أمام قوة الصراعات الخارجية، والثانية تكتشف مرونة في بنائها الاجتماعي تسمح بأنواع متعددة من الصراع تساهم في تحقيق التوازن والاستقرار 1 وعلى هذا الأساس يركز كوزر على جوانب الصراع التي تحقق الاستقرار والتكامل أي الوظائف الإيجابية للصراع، الا ان مصادر الصراع والاشكال التي يتشكل بها والنتائج المترتبة عليه في المفهوم المركسي تختلف اختلافا كليا عن مفهوم كوزر للصراع .

3. تفسير الصراع عند راندل كولينز (Randall Collins):

يرى عالم اجتماع أمريكي معاصر كولينز (1942) من خلال اطرحته ان الافراد لا يتم انتقائهم واصطفائهم على اساس القدرات الذكائية والتقنية والمعارف التحصيلية ،بل على اساس الانتماء الى جماعة المسيطرة ثقافيا بتمثل تصوراتها ،واتباع قيمها ومن ثم يمكن الصراع في ضغط الجماعات الحاكمة على المشتغلين بان يعتمدوا على الشهادات في عملية الانتقاء والاصطفاء ،علاوة على معايير التبعية الثقافية والحزبية والايديولوجية ،بمعنى ان الاصل الاجتماعي والطبقي والانتماء الحزبي والسياسي والايديولوجي لهم دور مهم في تحديد مصير الفرد[2].

كما يرى أن الصراع يجب أن يعتمد على الواقع، وان يتضمن عملية التحليل العلاقات السببية التي تعكس الواقع وتظهر ارتباط وعلاقة الوحدات فيه وقد اعتمد كولينز في محاولته بناء نظرية في الصراع تكون أكثر شمولا وشمل جميع مستويات العلاقات.

---

[1] نفس المرجع ،ص168

[2] جميل حمداوي :نظريات في علم الاجتماع ،المغرب :شبكة الالوكة ،ط1،2015،ص87

وقد اعتمد في تحليله للصراع على مصادر مختلفة ومتنوعة أهمها كتابات فيبر، وماركس ودوركايم، والتفاعليين الرمزيين أمثال شوتز و جوفمان وبناء على عملية توليفيه توصل إلى الافتراضات التالية:

-الإنسان كائن حي، ولكنه أيضا صراعي.

-يوزع النظام الاجتماعي الأفراد على حسب المصادر المتاحة لكل منهم.

-تتنافس الجماعات المتباينة على أكبر قدر مما هو مرغوب فيه.

-في كل مجتمع تباين في ملكية ما هو مرغوب فيه كالثروة والقوة والاعتبار والسلع ذات القيمة(لامساواة في توزيع الموارد النادرة).

-يحاول كل فرد تعظيم مكافئته الذاتية، بما يمكن أن يحصل عليه من الموارد النادرة، المرغوب فيها وذات القيمة.

-يعيش الناس في عوالم أقاموا بناءها ذاتيا(عالم معاني، حقيقة عقلية، ما يحملونه من أفكار ومعتقدات وتصورات).

-يحاول الآخرون التأثير في التجربة الذاتية لهؤلاء (لا من يملك القوة يصبح أقدر على تشكيل أنماط الثقافة والايديولوجيا، وأقدر على تشكيل وعي الآخرين).

-هناك صراع إذا حول القدرة على التأثير، أو حتى التحرر من تأثير الآخرين.

-يحاول كل إنسانا أو طرف في عملية الصراع، أن يستثمر كل ما لديه من مصادر للظهور بوضع أفضل[1].

وعلى هذا الأساس فالصراع يحدث نتيجة عدم المساواة في ملكية ما هو مرغوب فيه وله قيمة، كالثروة والقوة والجاه وعليه يحاول كل إنسان أو طرف في العملية أن يقوي مكانته وموقفه بتعظيم ما يملك من هذه الموارد النادرة المرغوب فيها، الذي ينجح في تملك أكبر قدر ممكن من هذه، يحاول تثبيت موقعه وتعظيم تحقيق

[1] ابراهيم عيسى عثمان ،مرجع سابق ،ص101

مصالحه، واستخدام الوسائل المختلفة للسيطرة، بما في ذلك القهر، وتزيف وعي الآخرين، وإنتاج نمط ثقافي يعزز نميزه، أي يحاول انتاج الوضع الذي يعمل لصا لحه، مقابل هذا يحاول المحرومون و فاقدوا القوة تغيير الوضع القائم، فالإنسان يكره الخضوع ويقاومه، هذان الموقفان المتناقضان يولدان عملية الصراع.

تجمع محاولة كولينز بين المستوى الفردي والذاتي والجماعي والموضوعي في تناول عملية الصراع كما يأخذ بمصادر متنوعة، شملت الجوانب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية ،علما أن قيمة كل هذه من مكسب للصراع تعتمد على الواقع والإطار الثقافي الذي يحدد ماله قيمة وما هو مرغوب فيه[1].

ويلاحظ ان ما ظهر من اختلافات وتطورات في تناول الصراع مفيل بان يشكل قاعدة لتطورات اخرى ، وان تطور الوظيفية واتجاهات الصراع تلتقي في حرص المعاصرين على الجمع بين عوامل التكامل والتناقض والثبات والتغير[2]

وعليه يمكن القول أ ن النماذج التوليفية حاولت الجمع بين التوازن والصراع، بين التحليل الجزئي تحليل الوحدات الكبرى للمجتمع، إضافة إلى المزج بين النظري والتطبيقي، وبين الذاتية والموضوعية أي التركيز على الثنائيات في التحليل السوسيولوجي .

المحاضرة الثالثة : نوربرت الياس و البنيوية التكونية

اولا : اهم اعمال وتصورات نوربرت الياس

يعد نوربرت إلياس (Norbert Elias) من أهم السوسيولوجيين الألمان، وتميز – سوسيولوجيا– بكتابه حول القيم (سيرورة الحضارة)، وقد ظهر في فرنسا في مجلدين تحت عنوان (حضارة القيم، وديناميكية الغرب) ، وأضيف إليه مجلد ثالث وهو (مجتمع البلاط). وله مؤلفات أخرى، مثل: السوسيولوجيا والتاريخ ، وما السوسيولوجيا؟، ومجتمع الأفراد، والرياضة والحضارة، وموزارت: سوسيولوجيا العبقري، وراء فرويد ، والالتزام

[1] نفس المرجع ،ص102

[2] نفس المرجع،ص109

والحياد: مدخل إلى سوسيولوجيا المعرفة[1]، وتعد حركات الدالة على الحياء (الحشمة) ،و آداب السلوك mœurs في نظر نوربرت الياس، هي العلامات المرئية لسيرورة الحضارة التي مرت بها اوروبا منذ عصر النهضة[2] ، من خلال هذه الرؤية نحاول توضيح اهم اعمال وتصورات نوربرت الياس في العناصر التالية :

1- مفهـوم السوسيولوجيا:

تهدف السوسيولوجيا،عند نوربرت إلياس، إلى دراسة الأفراد والمجتمع على حد سواء، إذ لا يمكن عزل طرف عن طرف آخر. وبالتالي، تنكب السوسيولوجيا على دراسات العلاقات الموجودة بين الأفراد داخل المجتمع، إذ لا يمكن دراسة الفرد بمعزل عن الجماعة أو المجتمع. كما للمجتمع وبنياته ومؤسساته تأثيرا واضحا في هؤلاء الأفراد إلى حد الجبرية والحتمية. ويعني هذا أن إلياس يوفق بين الفعل وبنية المجتمع على غرار بيير بورديو(Bourdueu)، ولوسيان كولدمان(L.Goldmann)، وجيدينز(Giddens)، وغيرهم...أي: يجمع بين الفهم والتفسير، بين الذات والموضوع، بين الحتمية والحرية، بين المنهجية الكلية لدوركايم والمنهجية الفردية لماكس فيبر. ويسمى هذا الجمع بالاتجاه التوليفي .

فاهتم نوربرت الياس بدراسة آداب السلوك لدى الأفراد من خلال التحليل التاريخي و السوسيولوجي لمفهوم حضارة آداب السلوك للغرب فقام بفهم أفعالهم وسلوكياتهم الملموسة، ورصد علاقاتهم التفاعلية التبادلية، واستجلاء مختلف التحولات التي تنتاب الأفراد على مستوى المجتمعي، عبر سيرورة الحضارة وتغيرها من حالة إلى أخرى، في ضوء المعطيات التاريخية، والمجتمعية، والسياسية، والاقتصادية، والنفسية. و لا فرق بين السوسيولوجيا والسيكولوجيا عند نوربرت إلياس، ولاسيما أن الباحث يدرس المجال العاطفي و الشعوري والانفعالي والوجداني لدى الكائن الإنساني، في ضوء المقاربة السوسيولوجية.

---

[1] جميل حمداوي :ميادين علم الاجتماع ،شبكة الالوكة لنشر الإلكتروني، ج1 ،ط1 ،2015،ص215

[2] فليب كابان ،جان فرانسوا دورتيه :علم الاجتماع "من النظريات الكبرى الى الشؤون اليومية اعلام وتواريخ وتيارات" ،تر:اياس حسن ،دمشق :دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع ،ط1، 2010

تبنى نوربرت إلياس السوسيولوجيا التفاعلية التي ترصد مختلف العلاقات التفاعلية التي تحدث بين الأفراد فيما بينهم، في علاقة تماثلية مع بنيات المجتمع عبر الهابيتوس. وبهذا يعتبر من الرواد الأوائل الذين أرسوا دعائم المدرسة التفاعلية في مجال السوسيولوجيا الألمانية إلى جانب جورج زيميل(Simmel)[1].

اعتمد نوربرت إلياس على مقاربة سوسيولوجية توفيقية تجمع بين الفهم والتفسير (أي فهم تصرفات الأفراد السلوكية، والبحث عن معانيها ودلالاتها ونواياها ومقاصدها، ورصد مختلف العلاقات التفاعلية التبادلية التي تتحقق عبر عملية التواصل بين الذوات الفاعلة داخل بنية المجتمع، مع الاستعانة بالتفسير السببي لمعرفة آثار المجتمع في الأفراد) ،و بين التصور الكلي عند إميل دوركايم والتصور الفردي عند ماكس فيبر، بين الفعل والبنية المجتمعية عبر عملية البناء و الهابيتوس . بمعنى أن الواقع الاجتماعي يبنى من قبل الأفراد والفاعلين المجتمعيين، بناء على خبرات ماضية، أو حاضرة تستمد من الحياة اليومية، يتبلور في شكل خطاطات وقيم وفضائل وعوائد يتشربها الفرد انطلاقا من المجتمع (الأسرة، والشارع، والقبيلة، والوطن، والأمة...).

كما يفضل السوسيولوجي الألماني نوربرت إلياس مفهومي اللعبة واللاعبين بدل الفرد والواقع الاجتماعي أي: يشبه الواقع المجتمعي باللعبة أما الفاعلون فيطلق عليه مصطلح اللاعبين. بمعنى أن اللاعب عندما يحرك عنصرا من عناصر الشطرنج، فإنه يولد لدى الطرف الآخر رد فعل. وعندما يحرك الطرف المقابل عنصرا من عناصر اللعبة، يقوم الآخر برد فعل معاكس، وهكذا دواليك...[2]

وقد تجاوز نوربرت إلياس بعض المفاهيم السوسيولوجية كمفهومي الماكرو والميكرو، فما يبدو ماكرو قد يكون ميكرو، والعكس صحيح أيضا، قد تكون العلاقة الدولية ماكرو. في حين، تكون العلاقة الوطنية ميكرو. بحيث أن هذه العلاقات الوطنية قد تكون ماكرو مقارنة بالظواهر الميكروسوسولوجية الأخرى. كما يرفض الباحث المفاهيم التطورية واللاهوتية تجاه التاريخ.

---

[1] نفس المرجع ،ص216

[2] نفس المرجع ،ص217

2-التصورات السوسيولوجية لنوربرت الياس:

لا يمكن فهم آراء نوربرت إلياس إلا باستعراض مضامين كتابه السوسيولوجية، واستجلاء قضاياها الظاهرة والضمنية، على النحو التالي:

1- حول سيرورة الحضارة:

انطلق الياس، في كتابه (حول سيرورة الحضارة)، من سوسيولوجيا تاريخية ونفسية. فهو لا يتناول مفهوم الحضارة بتصورات أوزوالد شبنغلر(Oswald Spangler) أو أرنولد توينبي(Arnold Toynbee)،بل يدرس الحضارة في أوروبا الغربية بدون إيحاءات إيجابية أو سلبية ، فهو يعتمد على سوسيولوجيا عامة تجعل الإنسانية إطارا عاما لها فهو يجعل من الحضارة الغربية موضوعا للتفكيك السوسيولوجي.

فقام برصد آداب السلوك في الحضارة الغربية، ابتداء من العصور الوسطى إلى غاية القرن العشرين بالتركيز على العوامل الاجتماعية في زمان ومكان معينين، كدراسة الفترة الفروسية، والفترة البورجوازية، والفترة الأرستقراطية، وفترات كل من: جوته، وهنري الرابع، وفريدريك الثاني، و إيراسموس....بالاستعانة بعلم النفس لدراسة مجموعة من التصرفات الجنسية و الجسدية و العاطفية والانفعالية و الوجدانية.

وذلك بتتبع سلوك العري الذي كان معيارا سائدا في ألمانيا في القرن السادس عشر الميلادي، إذ كانت العائلات يخرجن عارية في ذهابها إلى الحمام العمومي، رجالا ونساء وأطفالا، أو التركيز على كيفية استخدام الجسد وعرضه، والتركيز على آداب الطاولة التي كانت فيها الآداب في غاية المرونة والتساهل، وليست متشددة كما هو الحال في أيامنا هذه؛ إذ كان الشباب لا يخفون صوت ضراطهم أثناء العطس، وكانوا لا يستخدمون أصابعهم الثلاثة عندما يأكلون قطعة لحم من الأطباق، بل كانت تلك الأطباق تمسح بأكمام من يجلس قربهم... فقد أضحت هذه التصرفات – اليوم– عرضة للسخرية والاستهزاء.

علاوة على ذلك، لم تستعمل شوكة الطعام إلا في القرن الحادي عشر من قبل حاكم فينيسيا، وقد أدان رجال الدين هذا التصرف، بيد أن هنري الثالث استخدمها بشكل عاد في بلاطه. في حين، كانت هذه الشوكة مدعاة للسخرية عند عموم الشعب[1].

و بمثل هذه الأحداث والوثائق الظريفة أدخل نوربرت إلياس في التحليل التاريخي والسوسيولوجي للغرب مفهوم حضارة آداب السلوك ،و يوضح إلياس أن الحضارة هي مسألة آداب السلوك، وخاصة تلك المتعلقة بالقواعد الصغيرة والكبيرة التي تفرض نفسها على استخدام الجسد وإشباع الحاجات والغرائز والرغبات البشرية غير أن هذا البعد الأخلاقي عرف تطورا ملحوظا في أوروبا بدءا من عصر النهضة، كان الإنسان القروسطي يعيش في نوع من البربرية الساذجة إلى حد ما، وفي حرية حقيقية بخصوص التعبير العنيف عن مشاعره ورغباته، ولإشباع حاجاته الأكثر مادية، دونما انشغال بنظرة الغير. وبدءا من القرن السادس عشر، شرع كل ذلك (اللياقة، وآداب الطعام، وقواعد الحياء، والحشمة) بالقوننة عن طريق نبلاء البلاط. وفي القرن الثامن عشر، استولى البورجوازيون على آداب السلوك هذه.

وفي القرن التاسع عشر، بلغت الحركة أوجها وشاعت أيضا ،إذ يرى إلياس أن هذه الحركة غير المكتملة ترسم كامل التاريخ السياسي والاجتماعي والثقافي للغرب؛ بسبب أن تطور آداب الجسد هذه ناجمة عن تعميم نمط لشخصية هي شخصية نبيل بلاط." ويلاحظ إلياس أن سلطة الدولة هي المحرك الحقيقي للحضارة، فقد تحول المحاربون الإقطاعيون إلى نبلاء البلاط، وشكلوا ما يسمى بالسلطة الملكية. اين كانت آداب السلوك خاضعة للمراقبة الذاتية والضبط الداخلي. وفي هذا، يقول فيليب كابان(Philipe Cabin) وفرانسوا دورتييه (Jean-François Dortier):" إن تطور آداب السلوك- كما يوضح إلياس- ما كان له أن يحدث دون تدجين المحاربين، وتحويلهم إلى نبلاء في البلاط: نشاهد بالفعل بين القرنين الثاني عشر والثامن عشر، في فرنسا على الأقل، صعود السلطة الملكية، وتحول الطبقات الإقطاعية إلى نبلاء البلاط ،كما يوضح إلياس

[1] نفس المرجع ،ص219

انه يكمن السببان الرئيسيان لظهور أخلاق مؤسسة على السيطرة المتزايدة على الغرائز البدنية والوجدانية، في الطبقتين المهيمنتين، النبلاء والبورجوازية. لم يعد الأمر متعلقا فقط بتطبيق قواعد اللياقة والحياء والتحاشي، إنما بالوصول إلى الضبط الذاتي لكل واحد، خاصة فيما يتعلق بالاحتكاكات الجسدية والجنس والعنف[1].

ومن ثم، فقد بلغت آداب السلوك في القرن التاسع عشر الميلادي قمة الرقي والتهذيب والتطهير الأخلاقي والمحاسبة الذاتية، وقد كتب إلياس " أن تطور آداب السلوك في جانبه الحديث، يتصف باستبطان متزايد للمعايير؛ مما يجعل الآليات الاجتماعية للمنع لا ضرورة لها. بالنسبة له، ليست الحضارة فقط مسألة لياقة في المجالس الرسمية ؛ فهو يعلم جيدا أن هناك ممنوعات وطقوسا معقدة قد توجد عند شعوب تعتبر بدائية فحركة الحضارة تسير عن طريق مبادئ كونية، وتصيب وعي الفرد بالذات باختصار، لم يعد الأمر متعلقا فقط بقواعد السلوك، بل بمشاعر داخلية إحساسا بالذنب وندما، وتعيد إنتاج نفسها بنفسها، وتشبه الكبت عند فرويد.

ويلاحظ أن كتاب (حول سيرورة الحضارة) كان ممنوعا في ألمانيا، ولكن أعيد اكتشافه في فرنسا خلال السبعينيات من القرن الماضي، و" استقبل بحماس عن طريق فرانسوا فوره (Furet)، وأندري بورغيير (Burguière)، وإمانويل لوروا لاديوري(Ladurie). وهو يعكس جهدهم الخالص كي يجعلوا من التاريخ علما للعقليات ويجسد أيضا سوسيولوجيا تاريخية ذات هدف نظري رفيع، ويدشن شكلا لتاريخ آداب السلوك أصبح منذئذ مدرسة (انظر مثلا جورج فيغاريلو(Vigarello).

أخيرا، لقد رسم، مع احتفاظه بمسافة نقدية، لوحة للحضارة الغربية أقل نقدية بكثير من التحليل النفسي والماركسية وتجلياتهما.

وهكذا، يلاحظ أن الكاتب يدرس الحضارة الغربية في ضوء المقاربة السوسيولوجية، أو يدرس ما هو إنساني، و ما هو انفعالي، وما هو وجداني عاطفي وسيكولوجي، ضمن مقاربة سوسيولوجية. ومن جهة أخرى، يدرس

[1] نفس المرجع ،ص220

ما هو تاريخي ومجتمعي في ضوء مفهوم القمع أو الكبت، كما تحدث عنه سيغموند فرويد (freud) في جل كتاباته السيكولوجية.

علاوة على ذلك، يعنى نوربرت إلياس بسيوسيولوجيا الجسد في شبقيته وماديته وشهواته ونزواته وغرائزه، بالتوقف عند تقنياته على غرار دراسات السوسيولوجي مارسيل موس(M.Mauss)، وربط هذا الجسد بالعفة والعري، وعلاقة ذلك بالهابيتوس، والبناء المجتمعي، والمراقبة الذاتية، والمحاسبة القيمية، وتصوير طبيعة المجتمع على مستوى الثقافة والحضارة. ويعني هذا أن العواطف والأهواء خاضعة للقيم والتقاليد والعادات و الأعراف.[1]

كما اهتم نوربرت إلياس بسوسيولوجيا الرياضة باشتراك مع تلميذه إيريك دانين (Dunning)، إذ أثبت أن جميع المجتمعات، سواء القديمة منها أم الحديثة، قد عرفت الرياضة، وتتميز الرياضة مقارنة بالهوايات الأخرى بقلة العنف، على الرغم من الاحتكاك الصارم الموجود بين الأجساد الرياضية داخل مجال اللعبة. علاوة على احترام القواعد المكتوبة و غير المكتوبة التي تتحكم في اللعبة.

و من ثم، فهي تهدف إلى غرس القيم الوطنية والقومية، وتحقيق الظفر والانتصار، وتمثل القواعد، والسعي الجاد نحو الاستمتاع باللعب.

فقد حلل الباحثان الظاهرة الرياضية في بعديها المزدوج: إذ يتعلق البعد الأول بالتطبيق الجسدي، و يرتبط البعد الثاني بما هو فرجوي. وهنا، يتم التركيز على الجسد باعتباره نتاج سيرورة الحضارة.

وقد انتقلت الرياضة من الألعاب التقليدية العنيفة (الرومان) نحو ألعاب تحد من العنف والعدوان. بل يمكن القول :إن الهابيتوس الرياضي لا يقتصر على اللعبة في مجالها الداخلي فحسب، بل يمتد هذا الهابيتوس حتى خارج هذا المجال على مستوى السلوك والتصرف والتطبع الاجتماعي.

[1] نفس المرجع ،ص223

II- ثنائية الالتزام والحياد:

استعمل نوربرت إلياس، في كتابه (مدخل إلى سوسيولوجيا المعرفة)، مفهومي الالتزام والحياد، ويحيل المفهومان معا على ثنائية الذاتية والموضوعية. ويعني هذا أن الدارس يبحث عن الطريقة التي ينبغي أن يتعامل بها السوسيولوجي مع الظواهر المجتمعية، فهل سيبقى محايدا أم يدخل ذاته في البحث؟

ويحيلنا هذا أيضا على إشكالية عويصة في العلوم الإنسانية، هل يمكن التعامل معها على الأساس الوضعي التفسيري؟ أم على الأساس التفهمي الروحي ؟ أم على أساس الجمع بين الفهم والتفسير على حد سواء ؟ ويعني هذا أن الحياد يستلزم الموضوعية في البحث السوسيولوجي ،أما الالتزام: يعني إدخال الذات أثناء التعامل مع الظواهر المجتمعية.

وفي الحقيقة، يتضمن كل سلوك جانبا من الموضوعية الحيادية، وجانبا من التدخل الذاتي (الالتزام).أي: يمكن دراسة الفرد في ضوء المقاربة السوسيو تاريخية، بغية فهم كيف يتطور سلوكه أو فعله المجتمعي عبر التاريخ، ضمن سيرورة الحضارة، ورصد مختلف العلاقات التفاعلية بين الأفراد في علاقتهم مع محيطهم وبيئتهم.

ومن ثم، يوفق نوربرت إلياس بين الفهم والتفسير، ويرفض دراسة الظواهر المجتمعية تفسيرا علميا ووضعيا فحسب، بالاعتماد على التفسير والمقارنة والتكميم الرياضي أو الإحصائي ؛ لأن ذلك يخلق نوعا من الحياد الوهمي لذا لابد من الجمع بين الذاتية والموضوعية من جهة، أو بين الفهم والتفسير من جهة أخرى[1].

3-مفهـوم الهابيتوس:

لقد وظف نوربرت إلياس مصطلح الهابيتوس(Habitus) في الثلاثينيات من القرن العشرين، قبل أن يستعمله بيير بورديو في كتاباته السوسيولوجية المتنوعة. ويعني الهابيتوس عند الباحث تلك المعرفة المجتمعية المخزنة (ضمنية) لدى الأفراد بشكل غير واع، وتتجذر مع مرور الوقت بفعل الأسرة أو المؤسسة أو الحزب

[1] نفس المرجع ،ص 224

أو الدولة وبالتالي، تدل على هوية الفرد. كما تدل على هوية الجماعة . ويحيل هذا على ما يسمى بالتنشئة الاجتماعية أو التطبع أو الاندماج الاجتماعي، سواء أكان فرديا أم جماعيا. أي: تشرب الأفراد لمجموعة من المعايير و القيم والعادات المجتمعية، بفعل الاحتكاك والتطبع والتماثل مع البنيات الموضوعية. ويتميز الهابيتوس بالديمومة والتحول والتطور التاريخي، وانتقاله من جيل إلى آخر. ومن ثم، فقد ركز الباحث، في دراسته للحضارة الغربية الأوروبية، على الهابيتوس الوطني و الهابيتوس الهوياتي . ويعني هذا أن كل دولة لها هابيتوس خاص، يتخذ بعدا وطنيا و هوياتي، كما عند الألمان – مثلا–. [1]

4–النقد الموجه لنوربرت الياس:

خضعت آراء نوربرت إلياس لانتقادات عدة من وجهات علمية مختلفة. ففي مجال التاريخ، انتقده الباحثون في كونه أهمل فترة القرن التاسع عشر الميلادي، ولم يتعرض لها في كتابه (حول سيرورة الحضارة) بشكل دقيق وواضح. كما أن الانثروبولوجيين ينتقدونه في موضوع الحياء والحشمة على أساس أن الباحث اعتمد على وثائق قليلة غير مناسبة في هذا المجال؛ إذ ركز على المواخير فقط للحكم على آداب السلوك في فترة زمنية ما. كما أن الأوصاف المتعلقة بالسكن المأخوذة من موسوعة ديدرو (Diderot) ومجتمع البلاط هي أوصاف متعلقة بنموذج مثالي أكثر مما هو واقعي.

وعلى العموم، تتميز مفاهيمه السوسيولوجية بالغموض، وصعوبة الفهم والاستيعاب من قبل القراء، ولاسيما مفهوم البناء و الهابيتوس...

وقد أثبت السوسيولوجي الإنجليزي ستيفن مينل (Stephen][Mennell) أن نظريات نوربرت إلياس تصلح لدراسة الدول الغربية، ولكن لا تصلح لتحليل نشأة دول أمريكا الشمالية.

و كذلك لا تنطبق على الدول العربية التي قامت على احترام القيم الأخلاقية، وضبط آداب التصرف وفق المنهج الإسلامي، بل يتميز المجتمع العربي والإسلامي بكونه مجتمعا محافظا تسوده الحشمة والعفة والتستر

[1] نفس المرجع ،ص 225

و أكثر من هذا، لا يمكن أن نعتبر عري المرأة على الشاطئ حضارة أو حرية أو ثقافة أو مساواة.

وبالتالي على الآخر أن يضبط نفسه سلوكيا وغرائزيا بينما هذا السلوك الشائن تعبير عن مدى الإسفاف الحضاري، وانحطاط القيم، إذ يثير الاشمئزاز والفتنة والغواية، ويساعد على انتشار البغاء والإباحية وتردي الحضارة. ومن ثم، تؤدي الإباحية والرذيلة والمبالغة في الترف إلى سقوط الدول وانحطاطها، كما يقول ابن خلدون في مقدمته لعلم العمران.

كما هناك من يشكك في أطروحة العري في العصر الوسيط كما أثبتها إلياس، فقد اعتبر المؤرخ بيتر ديور (Duerr)، في كتابه (العري والحياء)، " اللامبالاة القروسطية تجاه العري مجرد أسطورة: فالحالات التي يصفها (الحمامات، واحتفالات العراة، والتنزه في الهواء الطلق) كانت في الحقيقة استثنائية، وترجع إلى سلوكيات منحرفة. يدعم ديور الأطروحة القائلة بأن الحياء، ولو تنوعت بدياته، هو شعور كوني، وما من مجتمع مهما كان مستواه من البربرية يمتنع عن وضع قواعد للعري...

وإن وضع قواعد لاستخدامات الجسد (التغوط، والضراط، والتجشؤ، والبصاق، إلخ) لم يكن أبدا غائبا عن وعي الشعوب : فقبل نهاية العصر الوسيط، كانت توجد نصوص يهودية وعربية وألمانية وإنكليزية تتناول الاستخدام المناسب للتغوط (بعيدا عن نظر وسمع الآخرين، ومن المفضل ليلا بعيدا عن أعين الملائكة).إن عادة أصحاب السمو، وهم يستقبلون حاشيتهم جالسين على كرسي بيت الخلاء، والتي أقرها لويس الحادي عشر، ستكون اختراعا حديثا وتعبيرا عن التراتبية المتزايدة في العلاقات الاجتماعية . بالطبع لم يكن من المقبول أبدا بالنسبة للتابع أن يستقبل من هو أعلى منه بالطريقة ذاتها...

باختصار، شكك ديور ومؤرخون آخرون بشكل واسع أيضا، ليس بوجود تنويعات بمستوى الاحتشام المطلوب بين مجتمع وآخر، بل بأن هذا المستوى مرتبط، كما في نظرية إلياس، بظهور طبقات الحاشية، وبالتالي ظهور الدولة الحديثة.

ويتبين لنا، مما سبق ذكره، بأن الثقافة عند نوربرت إلياس، تتأسس سيكولوجيا، بالمفهوم الفرويدي، على قمع الغرائز الجنسية أو الشهوانية أو الشبقية، ويعد هذا المعطى قاسما مشتركا بين جميع الحضارات. بيد أن حضارة الإسلام لم تبن على ما هو غرائزي وجنسي، بل بنيت على دك الوثنية العمياء، والدعوة إلى التوحيد الرباني. كما أن الثقافة أساسها العلم والأخلاق معا.

ضف إلى ذلك، فليس هناك صلة حقيقية بين دقة الآداب وانعدام العنف والجريمة في المجتمع، فقد وجدت جرائم في عصرنا المتقدم هذا على الرغم من تمثل تام لآداب السلوك. وفي هذا السياق، يقول نيكولا جورنه :" إن سيرورة الحضارة التي وصفها نوربيرت إلياس لا تظهر فقط من خلال آداب المائدة وقواعد الحياء والأخلاق الجنسية، فهي تتناول بشكل أكثر مباشرة أيضا، تراجع مستوى العنف الذي تسمح به الأخلاق العامة .القضية واضحة بين الناس، إن ضبط الحق بالقتال، ثم بالثأر الشخصي عن طريق الدولة، هو نتاج التطور في المؤسسات الذي أصبح حكرا منذ القرن الثامن عشر (راجع دينامية الغرب).[1]

كما ان زيادة في الانحراف لا تعني أن تقدم الحضارة وصل إلى نهايته .والأخرى تولي أهمية إلى تقطع في سيرورة الحضارة عن طريق إضعاف نموذج الدولة الذي يفترض أيضا، بتعابير عامة، أن الدينامية المؤسساتية التي وصفها إلياس ربما قد بلغت حدا (نهاية) .ومع ذلك يرى آخرون أن العنف كشكل للعلاقة الاجتماعية قد عهد به إلى بعض أماكن النفي الاجتماعي، وبقي غريبا بالكامل عن مجمل المجتمع الذي لم يتوقف عن الخضوع للبوليس.

لكن هذا الموقف الملتبس لنظرية الياس يرجع ان الثقافة تتأسس على لجم الغرائز والحال و بالتالي فان تنوعه ليس شديد الدلالة او ان بعض المجتمعات ترتقي في هذا الطريق اعلى من غيرها بكثير وبهذا تترك اعمال الياس خلفها مسائل تكفي بأهميتها ،لان توصف بالأعمال الاكثر تحريضا في القرن العشرين [2]

---

[1] نفس المرجع ،ص 229

[2] فليب كابان ،جان فرانسوا دورتيه ،مرجع سابق،ص185

وعليه، فأهم ما تتسم به دراساته السوسيولوجية التي تجمع بين الفهم والتفسير تركيزها على سيرورة الحضارة الغربية، والاهتمام بالجسد، ودراسة سوسيولوجيا الرياضة. ومن ثم، فهذه الأعمال الحفرية الجادة تذكرنا، بشكل من الأشكال، بأبحاث الفيلسوف ميشيل فوكو (Michel Foucault)، وأبحاث المؤرخ فرناند بروديل(Fernand Braudel)، وأبحاث السوسيولوجي بيير بورديو (Pierre Bourdieu)، على سبيل التمثيل والمقارنة والتخصيص ...

ثانيا : البنيوية التكونية

مع بداية السبعينيات تعرضت البنيوية إلى انتقادات شديدة أدت إلى ظهور عدة محاولات لتجديد أطروحتها وخاصة في اتجاه طرح جديد للاتجاه التوليفي للعلاقة بين النسق و الفاعل في ظروف عودة الفاعل التي ميزت تلك الفترة وسوف نقوم في ما يلي إلي اسهام كل من انطوني جيدنز و بيار بورديو ونوربرت الياس التي قدمت نظريات جديدة قائمة على رؤية جديدة للبنية في المجتمعات المعاصرة كعنصر لتحليل .

تعد البنيوية التكوينية أو التوليدية، فرع من فروع البنيوية، نشأ استجابة لسعي بعض المفكرين والنقاد والماركسيين، للتوفيق بين أطروحات البنيوية في صيغتيها الشكلانية وأسس الفكر الماركسي أو الجدلي في تركيزه على التفسير المادي والواقعي للفكر والثقافة عموما.

تقوم البنيوية التكونية على اعادة النظر بالممارسات الاجتماعية انطلاقا من الاوضاع الاجتماعية ومن الهابيتوس ، ضمن حقل اجتماعي معين ،و تضع امامها مهمة اعادة فهم كيف ان العملاء من مختلف الطبقات والشرائح الطبقية ،كيف يجعلون ابيتوسهم الطبقي موضوعيا و يتصرفون به ،ضمن نسق العلاقات الطبقية ،من اجل الحفاظ على اوضاعهم وملكياتهم او من اجل تحسينها و زيادتها [1] .

ان الدراسات المتأنية للبنيوية التكونية تدعى ما بعد البنيوية قد تؤدي الى دراسة اعمال عدد من علماء الاجتماع بدا من عام 1950م باستخدام البنية الدلالية كمنهج للفهم والتفسير لاعتمادها على الفن والنقد

[1] بيار انصار : العلوم الاجتماعية المعاصرة، تر: نخلة فريف، بيروت: المركز الثقافيالعربي،ط1 ،1992 ،ص(97-98)

الادبي كمقاربة سوسيولوجيا بغية رصد رؤى العالم ،من خلال عقد تماثل ضمني بين الآداب و المجتمع ،مع استقراء الاوضاع الجدلية التي تحكمت في توليد البنية النصية ، ولكي يكون لنا اكثر تعبيرا بإبرازه خاصة عبر مواقف واعمال بيار بورديو الذي صاغ على اكمل وجه تطور المبادئ العامة للبنيوية والذي سوف نتطرق اليه في المحاضرة الموالية .

المحاضرة الرابعة : البنيوية الجنينية لبيار بورديو Pierre Bourdieu :

اولا : المنطلقات الفكرية للبنيوية الجنينية لبيار بورديو

يعتبر بيار بورديو من اهم المقامات الفرنسية و العالمية في علم الاجتماع ،ومن العلماء البارزين الذين تحول مسارهم من الفلسفة الى علم الاجتماع بمعناه المعاصر، و شارك في التحليل السوسيولوجي لعدة مجالات فأعماله هي نتاج اعادة قراءة نقدية للتساؤلات على كل الاصعدة الأنثروبولوجية ،خاصة منها ذات الطابع التقليدي وكذا السوسيولوجي ،حيث تشكل وعي وارادة في القطيعة و التجاوز عنده ،و ساهمت بظهور البنيوية النشوئية او التكوينية و في مراجع اخرى الوراثية STRUCTURE GENETIQUE التي تعطي اهمية الكبرى للفاعل و البنية المجتمعية على حد سواء .

و يعد بيار بورديو من اهم ممثلي المقاربة الصراعية ذات التوجه الماركسي ،و هو من اهم رواد البنيوية التكونية (structuralisme constructiviste) الذين جمعوا بين الفهم و التفسير ،بين الذاتية والموضوعية ،بين الماكرو والميكرو و بين الحتمية و الفاعلية...كما ركزا على دراسة المجتمع من خلال نظريته السوسيولوجية باعتباره فضاء للصراع و المنافسة و الهيمنة مع تحليل تراتبية مختلف الطبقات الاجتماعية ،و تبيان الدور الذي تقوم به الممارسات الثقافية داخل الصراع الذي يحدث بين هذه الطبقات الاجتماعية بشكل واع او غير واع ،ثم استجلاء الكيفية التي تعيد بها المدرسة انتاج اللامساواة المجتمعية

واعادة الطبقات الاجتماعية نفسها[1] ، لذا كرس بيار بورديو قسما كبيرا من اعماله لعلم اجتماع الثقافة ، وبشكل اكثر دقة لتحليل الممارسات الرمزية و تناولت المسالة الدراسات حول الطلاب او حول الممارسات الفنية او حول التمايز أو الجامعة فإنها كلها الممارسات الثقافية بأشكالها المتعددة التي تناولها بشكل خاص[2] حيث الف بورديو اكثر من اربعين كتابا ،واكثر من مئة مقال ،وانصب اهتمامه على الطريقة التي يعيد بها المجتمع انتاج التراتبية الطبقية نفسها ،بالتركيز على العوامل الثقافية والرمزية ،بدل التشديد على العوامل الاقتصادية التي كانت لها اهمية معتبرة في المقاربة الماركسية الكلاسيكية .

كما يرى بورديو ان موضوع السوسيولوجيا هو دراسة حقول التنافس و الصراع و الهيمنة ليس على صعيد الطبقات فقط ،بل حتى في المجال العلمي نفسه ،ويطرح بورديو ميتاسوسيولوجيا او سوسيولوجيا السوسيولوجيا ،من خلال الاشارة الى ضرورة حياد عالم الاجتماع عندما يبحث في مشكلة مجتمعية ما قوامها التنافس و الصراع و الهيمنة ،بان يكون واعيا بموقعه الاجتماعي و الاقتصادي و الثقافي ، ومن ثم فالسوسيولوجيا الحقيقية هي سوسيولوجيا المضمر و المسكوت عنه[3] .

وعليه تتميز السوسيولوجيا عند بيار بورديو بالطابع العلمي المنطقي ،و الابتعاد عما هو سياسي و ايديولوجي ،و دراسة العنف الرمزي وفق مقاربات علمية دقيقة وصارمة ،دون ادخال ما هو شخصي و سياسي في البحث العلمي.

علاوة على ذلك ، تندرج اعمال بيار بورديو ضمن الاتجاه التجديدي للبنيوية بعد اسهامات التي قدمها كل من بيتر بلو و انتوني جيدنز و هو اعطاء الاعتبار لدور الافراد في البنية و من خلال هذا التحليل البنيوي ورث بورديو فكرة اساسية تتعلق بأهمية انساق العلاقة بين الافراد و الطبقات في فهم الظواهر الاجتماعية فقام بتعديل هذا التحليل من ناحيتين :

---

[1] جميل حمداوي :اسس علم الاجتماع ، الالوكة لنشر الالكتروني،ط1، 2015،ص232 ...www.alukah.net

[2] بيار انصار ،مرجع سابق، ،ص162

[3] جميل حمداوي، مرجع سابق ، ص233

1- يحاول اهمال البنيوية للمعنى الذي يعطيه الفاعلون لأفعالهم

2- يقوم بإدخال مفهوم الاستراتيجية في تحليل البنيوية ليشير الى قدرة الافراد او العناصر على مواجهة وضعيات متجددة وعلى الموازنة بين الاهداف و الموارد .

يبين بورديو من خلال هذا الاتجاهين موقفا جديدا في البنيوية مفاده ان نفس الفكرة او التصور او البنية تهيكل بأشكال و كيفيات مختلفة العالم الاجتماعي و مستوياته [1].

ولشرح ذلك لجا بورديو الى مصطلح فلسفي و هو مصطلح L'habitus ، يعتبره المبدأ الذي يهيكل ادراك العناصر و قيامهم بأفعالهم الاجتماعية ،ولهذا فهو يعتبر شكل موجود لفعل البنيات الاجتماعية Agents sociaux ،واحد المفاهيم المركزية في البنيوية التكونية بوصفه منهجية ذات محتوى ثقافي وظيفتها اعادة انتاج الصراع الطبقي بل وتكريسه عبر المحتوى الثقافي [2] .

وقد بين ذلك في العديد من ابحاثه حول الممارسات الاستهلاكية حول جمهور المتحف و حول الفن التي تندرج كلها في اطار ما يمكن ان نسميه بنظرية اعادة الانتاج la reproduction بان الافعال الاجتماعية ماهي الا نتيجة لتأثير مزدوج بين البنية و الطبقة والذي يتجلى في بروز هذه الافعال كممارسات يستعمل فيها استراتيجيات وهذا ما دفعه الى التفكير في كيفية تناول المجال الاجتماعي واقترح استعمال مفهوم الرأسمال و الى القدرة على استعماله و تعبئته من طرف العناصر الاجتماعية .

و بهذا فان هذا المفهوم لا يشير فقط الى الموارد المالية التي يمتلكها الافراد وانما كذلك الى القدرات الفكرية و الثقافية و العلاقات الاجتماعية ،وكل طبقة تتميز بقوة رأسمالها و الطبقة المهيمنة في اطارها يتم توزيع هذا الرأسمال بكيفيات مختلفة بين فئتها ،ويتميز المهيمنون- المهيمنون بالامتلاك تراث قوي للرأسمال الاقتصادي تم الثقافي تم الاجتماعي في حين ان المهيمنين –المهيمنين يتميزون بامتلاك رأسمال ثقافي قوى

[1] Pierre Bourdieu: question de sociologie, paris, Ed : de minuit, colle le sens commun, 1980, p25-26

[2] عبد العزيزبن على الغريب :نظريات علم الاجتماع "تصنيفاتها ،اتجهاتها وبعض نماذجها التطبيقية من النظرية الوضعية الى ما بعد الحداثة ، الرياض :دار الزهراء لنشر والتوزيع،ط1 ،2012 ،ص519

و رأسمال اقتصادي اقل قوة اما على مستوى الطبقات التابعة او الخاضعة او المهيمنين عليها فان العناصر الاجتماعية تتميز بامتلاكها لرأسمال اقتصادي ضعيف و بقدرتها بالمحافظة على القيم المميزة لها مثل قيم الطبقة العاملة ،كما يميز الفئات المستبدة او المقصية بعدم امتلاكها لأي شكل من الرأسمال الضروري للحياة في العالم الحضري ،وقام بورديو بتفكيك هذه الهيمنة بعد ملاحظة كل النطاقات والجماعات من كل نوع (من المزارعين الجزائريين و حتى الجامعيين ،مرورا بالمدراء ،والعمال ،والصحفيين،....) [1]

ثانيا : الاقتراب المنهجي و المفاهيمي للبنيوية الجنينية لبيار بورديو

تعتبر اطروحات بورديو طفرة مهمة في مسار السوسيولوجيا العالمية لأنه استطاع ان ينتج منهجا خاصا به في مجال البحث السوسيولوجي مستفيدا من الوضعية و الماركسية و الفيبيرية و البنيوية ،كما انه اسس لنفسه مفاهيمه الخاصة كالحقل و الهابيتوس (السمت،او السمة) ،و السلطة الرمزية و الرأسمال الرمزي و العنف الرمزي و الهيمنة الذكورية ..لقد فتح بورديو السيسيولوجيا على حقول متعددة [2].

كما استفاد بورديو من الرؤية البنيوية بطريقة ثورية ،حيث نظر الى التصورات الخاصة بغير الشعوب الاوروبية وكأنها انظمة لها منطقها و تماسكها الخاص الذي لا ينبغي الاستهانة به او تفريغه من المعنى ،رغم هذا احدث بورديو القطيعة مع الاثنولوجيا البنيوية ،خاصة بنيوية لفي ستروس ،فقد ذهب ابعد من ذلك لكي يحلل العلاقات الاجتماعية بصفتها انظمة متماسكة و ذات دلالة ،وبذلك قام بنقل البنيوية من مستوى التصورات والاسطير الى مستوى الممارسات الواقعية و العلاقات الاجتماعية .

و اوضح انه يوجد فضاء اجتماعي للعلاقات التي تشكل التصورات التي يتشكل عنها التعبير الرمزي ،ولذلك اطلق بورديو على هذا المنهج اسم البنيوية التوليدية او الجنينية ويصف هذا المنهج طريقة تفكير واسلوب اثارة الاسئلة ،و يحاول بورديو باستخدام هذا المنهج ان يصف و يحلل و يلقى الضوء على نشأة الاشخاص

[1] فليب كابان ،جان فرانسوا دورتيه، مرجع سابق، ص208

[2] عبد العزيز بن على الغريب، مرجع سابق ،ص 519

و الجماعات و البنى الاجتماعية و يقترح منهج بورديو نظرية للتحليل الجدلي للحياة العملية متجاوز في ذلك التعارض بين البنى الموضوعية والتصورات الذاتية للأفراد داخل المجال الاجتماعي.

ومن ثم قد اقترح منهج البنيوية التوليدية لفهم كل من نشأة البنى الاجتماعية ،والخصائص الاجتماعية للفاعلين الذين بعيشون داخل هذه البنى ،كما ان المنهجية التي يستخدمها بورديو مادية نشطة وفاعلة ترتكز على الاشكال الرمزية حيث يهدف من استخدامه لهذا المنهج الى معالجة الظواهر الرمزية ضمن منظور مادي[1] ، وفي خيارته المنهجية استطاعت ان تتطور مع الزمن ،وهكذا فان كتاب يؤس العالم بني على اساس مقابلات توجه فيها الباحث الى الذي يحاوره بطريقة "المحادثة العادية "انه منهج يقدم براي البعض ،مواربات واضحة :فرض الاشكاليات ، و توجيه الإجابات ..الخ [2]،في حين ان الافكار التي ذكرنها لبيار بورديو فهي اكثر وضوحا واقترابا للاتجاهات الفردانية وخاصة الفردانية المنهجية كما نجد في مؤلفه la distinction تصورا شكليا لنظريته حول L'habitus و نظريته حول الحقول في نظرية تركيبية و هي نظرية الممارسة ، و لكي يميز بورديو منهجه صمم نظرية تستبدل اي علاقة بسيطة بين الفرد و البناء بعلاقة مركبة بين الهابيتوس و المجال .

وهذه الصيغة التوليدية هي التي تفسر قراءات الممارسة الاجتماعية كما يلي:

Pratique=(habitus x capital)+champ بمعنى الممارسة = المجال + (الهابيتوس × راس المال)

و تعد هذه الصيغة وسيلة ضرورية لتلخيص العلاقة بين المفاهيم الاساسية في اعمال بيار بورديو ،وايضا فان استخدام هذه الصيغة يكون باعتباره اداة توضيحية للعرض او الشرح ،وليس لتقديم حلول كلية للفعل او السلوك الاجتماعي ،يقصد بيار بورديو بالحقل بالميدان للتنافس و الصراع الاجتماعي يتنافس الافراد فيه كما في الالعاب[3] ، بمعنى هو اسقاط على مجال اجتماعي محدد للتعارض بين المهيمنين و المهيمن

---

[1] نفس المرجع ،ص527-528

[2] فليب كابان ،جان فرانسوا دورتيه، مرجع ساق ،ص216

[3] محمد عبد الكريم الحوراني، مرجع سابق ،ص78

عليهم ان العناصر الاجتماعية تكتسي خصائصها في الحقل من خلال مكانها في مجال العلاقات الموضوعية سواء تعلق الامر بالموضة او بالعلم او بالسياسة فان بنية الحقل هي عبارة عن حالات لعلاقات القوة بين العناصر الاجتماعية او المؤسسات الاجتماعية و يكون هدف هذه العلاقات هو امتلاك الشرعية سواء للحفاظ على الهيمنة او لمحاولة امتلاك موقع جديد .

وعليه يرى بيار بورديو أن العلاقات الاجتماعية، في المجتمعات الحديثة، تنقسم إلى حقول ، أي فضاءات اجتماعية أساسها نشاط معين (مثلا:الصحافة ،الادب ،كرة القدم، المسرح إلخ.) يتنافس فيها الفاعلون لاحتلال مواقع السيطرة مثلا، يريد الصحافي أن يشتغل في أوسع وأقوى جريدة وبعدها يحاول أن يحصل على أعلى منصب في تلك الجريدة، إلخ.)[1]. وبكلمات اخرى فان الحقل يمثل نسق من المواقع الاجتماعية مبنية داخليا في ضوء علاقات القوة ،و كل حقل هو محل لعلاقات القوة[2] فعلى غرار التصور المركسي، يبدو العالم الاجتماعي، عند بورديو، ذا طبيعة تنازعية، بحيث أنه يؤكد أن التنازعات المكوِنة للعالم الاجتماعي تخص مختلف الحقول وليست مجرد صراع بين طبقات معينة وثابتة(مثلا، ليست بين الأغنياء والفقراء فقط، بل بين الاغنياء والاغنياء وأيضا بين الفقراء والفقراء).

حسب ما يوضحه المثال التالي :

إننا نجد داخل المجتمع الواحد ثقافات متعددة، و تقوم المدرسة بعملية انتقاء ثقافة لبنية اجتماعية معينة، وغالبا ما تكون ثقافة الطبقة المهيمنة، لتكرس الاستغلال و السلطة التعسفية لهذه الطبقة داخل الحقل التربوي، وتصبح الثقافة المدرسية بذلك أقرب إلى ثقافة النخبة، ليتمكن أبناء الطبقات البرجوازية من الاستفادة من المواد المقررة، لأن رأسمالهم الثقافي يجعلهم متفوقين داخل المدرسة على أبناء الطبقات الدنيا ،ومنه يمكن ويمكن القول بأن بيار بورديو وكلود باسرون هما اللذان أعطيا ولادة ثانية لسوسيولوجية التربية، وقد انطلقا من فرضية سوسيولوجية أساسية، تتمثل في كون المتعلمين لا يملكون الحظوظ نفسها في تحقيق

[1] عبد العزيز بن على الغريب، مرجع سابق، ص558

[2] محمد عبد الكريم الحوراني، مرجع سابق، ص78

النجاح المدرسي .ويرجع هذا الاختلاف إلى التراتبية الاجتماعية، و التفاوت الطبقي، ووجود فوارق فردية داخل الفصل الدراسي نفسه بمعنى:

" ان المتعلمون المنحدرون من أصول الطبقة البورجوازية يدرسون العلوم باللغات الأجنبية منذ الصغر، بالإضافة إلى أن وسطهم العائلي يمكنهم من إتقان اللغة، وامتلاك استعدادات و عادات ثقافية و مهارات فكرية و شخصية مشروطة اجتماعيا، تجعلهم أكثر استعدادا للتفوق المدرسي، إضافة إلى الدور الذي تلعبه شروط الحياة الداخلية، كالمسكن و الملبس و وسائل الترفيه و الإمكانات المادية من الرفع من مستوى التفوق".

أما المتعلمون المنحدرون من الطبقات الدنيا فإنهم يختارون " شعبا " لا تؤدي إلى نجاح اجتماعي مضمون" كشعب الآداب"، ويبحثون عن دراسات مختلفة خارج نطاق البرامج الدراسية لأن الثقافة الحرة تؤِدي إلى النجاح الجامعي في مثل تلك الشعب[1]، و أن الأصل المجتمعي للطلبة أهم عامل في التمييز La Distinction(أكثر من الجنس والسن و الإنتساب الديني)...، وفضلا عن ذلك يلزم رد أسبابه للعوامل الثقافية أكثر من العوامل الاقتصادية.

أما أطفال الطبقة المتوسطة فهم مولعون بالقيم المدرسية في حين يتميز أعضاء الطبقات الوسطى عن الطبقات الدنيا بمعرفتهم الواسعة بالثقافة ، كل هذه الأشياء تكرس عنفا رمزيا"[2]،الذي يعرف بانه العنف الذي يمارس على الفاعل الاجتماعي مع اشراكه في الجريمة ، وهذا يعني ان الناس يخبرون انساق المعنى (الثقافة) على انها شرعية ،ولكن هناك في الواقع عملية من عدم الفهم ،او الادراك لما يجري بالفعل.

وبناء على ما سبق ،ترتكز المقاربة الصراعية على التوجه الماركسي الجديد ،وتنطلق هذه المقاربة من ان العلاقات الاجتماعية هي التي تتحكم في التوجه المدرسي على اساس ان المدرسة (هي فضاء للصراعات

[1] Pierre Bourdieu et Jean-Claude Passeron: Les Héritiers Les Etudiants et la Culture, les éditions de minuit, 1964.p17-19
[2] Ibid , P42-44

الطبقية و الاجتماعية و اللغوية و الرمزية) وهي التي تساهم في تحقيق النجاح او تكون وراء الاخفاق الدراسي ،فالمدرسة في منظور هذا النظرية مثل الة لإعادة انتاج اللامساواة الطبقية والاجتماعية ،بمعنى ان المدرسة تعبير عن الفوارق الفردية و الطبقية والاجتماعية و اللغوية و الثقافية ،فأبناء الاغنياء و الطبقات المرموقة يحصلون على معدلات مرتفعة، ويستفيدون من التعليم الجامعي في حين يحصل ابناء الطبقات الدنيا على معدلات ضعيفة ،و يعانون من فوارق التحصيل و الذكاء ثم لا يستطيعون متابعة دراستهم الجامعية ،فيكتفون بالتوجيه المهني او التقني .

و من هنا فالمدرسة ليست محايدة او موضوعية او عادلة او كونية ،بل تخدم مصالح الطبقة السائدة او قيم الفئة المهنية على الحكم ليس الا ،وترى هذه المقاربة ان المدرسة لا تنتقي من هو اكثر ذكاء و قدرة و انتاجا وابداعا ،بل من هو اكثر مطابقة و مسايرة لتمثيلات الفئة الحاكمة اي تختار من ينفذ تعليمات الطبقة المالكة للسلطة ،ويعيد انتاج قيمها[1].

بهذا تعد المؤسسة التعليمية في نظر بورديو المؤسسة المثلى التي تستثمر بكثافة ترسانة من الاشكال التقعيدية ، فتؤنثت اشتغالها بهالة من القواعد المعقدة والتي تعمل عبر طقوس ماسستها على انتاج التفاوت الاجتماعي و اعادة انتاجه بل يعتبر هو سنده المؤسس له و المنظم ان الطقوس تفرزه لتعش منه و تضمن ديمومتها من شرعية هذا التفاوت فتقيم توزيعا لا متكافئا للجزائيات الثقافية و تمنح راس مال ثقافي للبعض بما انهم شرعيون لاكتسابه وتحرم البعض الاخر لمهانه جدارتهم انها تستند الى فعل تهجين تحول به اللامساواة الاجتماعية واسسها الثقافية القائمة على الشهائد العلمية الى لا مساواة طبيعية ،فهكذا تعيد المدرسة اعادة انتاج شرعيتها عبر انتاج المميزين اجتماعيا[2] .

---

[1] جون ليشته : خمسون مفكرا اساسيا معاصرا من البنيوية الى ما بعد الحداثة، تر : فاتن البستاني، بيروت، المنظمة العربية لترجمة، ط1 ،2008، ص81-82

2 عسى عثمان، مرجع سابق، ص70-71

ومنه يلعب الرأسمال الثقافي دورا حاسما في عمليتي تحديد و إعادة إنتاج الواقع و الأدوار الاجتماعية. ففي رأي بورديو الأصل الاجتماعي أهم عامل في التمييز، إذ أن العوامل الثقافية أكثر فاعلية من أي عامل آخر، و عموما يرى بيير بورديو أن الأهداف الضمنية للمدرسة تخدم التكامل بينها و بين الطبقة المسيطرة مما يجعل أبناء هذه الأخيرة أطفالا ناجحين دراسيا، أما أبناء الطبقة الدنيا فيكون مصيرهم هو الفشل، و ذلك بسبب انعدام التكامل بين النظام المدرسي و الطبقة الاجتماعية التي ينتمون إليها.

وبصفة عامة ان الثقافة التي يتلقها المتعلم في المدرسة الرأسمالية ليست ثقافة موضوعية او محايدة ،بل هي ثقافة الهيمنة و ثقافة الطبقة الحاكمة ،ومن ثم ،فليست التنشئة الاجتماعية تحرير للمتعلم بل ادماجا له في المجتمع في اطار ثقافة التوافق والتطبيع و الانضباط المجتمعي ،وبالتالي تعيد المدرسة انتاج الطبقات الاجتماعية نفسها عن طريق الاصطفاء و الانتقاء و الانتخاب و من ثم فهي مدرسة اللامساواة الاجتماعية ، على اساس ان المدرسة فضاء للتنافس والهيمنة والصراع الطبقي والمجتمعي ،ولم يقتصر بيار بوردو على الجانب التربوي في نظرية اعادة الانتاج بل اهتم كذلك بدراسة اعادة انتاج الهيمنة الذكورية في المجتمع القبائلي التقليدي بالجزائر في كتابه الهيمنة الذكورية[1] .

كما وظف بيار بورديو مجموعة من المفاهيم السوسيولوجية في ابحاثه ودراسته وكتبه ،وقد كان له تأثير في الكثير من النظريات و المدارس السوسيولوجية المعاصرة ،على الرغم من تعقيدها و غموضها ،فحاول حل مشكلة الموضوعية والذاتية من خلال ثلا ث مفاهيم اساسية و هي الهابيتوس (المنطلقات الشخصية) ،المجال ، راس المال التي سوف نلخصها كما يلي :

- **الهابيتوس :** ان مصطلح الهابيتوس فبعظهم يعتبر خطا انه الاعمال الروتينية المحددة في الحياة اليومية او انه مرادف لتعبير التنشئة الاجتماعية ،لكنه جزء من نظرية بورديو حول الممارسة العلمية و يعني

[1] جميل حمداوي :اسس علم الاجتماع ،مرجع سابق ،ص86

التعبير بوضوح الميول في الفضاء الاجتماعي ، وفي كتابه التمييز يشير بورديو الى الهابيتوس باعتباره نسق ترسيمات او مخططات (SCHEMAS) لإنتاج ممارسات معينة وكذلك نسق ترسيمات تتعلق بالإدراك الحسي و الادراك الذاتي و الاستبطان لهذه الممارسات [1]، اي يمثل بناءات اجتماعية متجسدة ومستدمجة ،تعكس انقسامات موضوعية في بناء الطبقة ،وجماعات العمرية ،و الجندر و الطبقات ، ان الهابيتوس يكسب بفعل طول الفترة الزمنية ،ويعتمد على طبيعة موقع الفرد في العالم الاجتماعي ، لذلك لا يملك الجميع الهابيتوس ذاته ،ولكن فقط من يحتلون مواقع متشابهة ،انه يمثل (بناء البنية) و يوضح بورديو :ان الهابيتوس ديالكتيك استدماج ما هو خارجي ،و تجسيد ما هو داخلي ، فهو يحدد طرق التفكير ،واسس الاختيار لدى الفرد يعتبر مفهوم الهابيتوس من المفاهيم الاساسية في ما يسمى بعلم الاجتماع العملي او علم الاجتماع الممارسات فعمليات التنشئة ضمن طبقة اجتماعية تساهم في تشكيل المنطلقات الفردية وعلى اساس هذه المنطلقات (الهابيتوس) يمكن ان يرافقها استراتيجية محسوبة بقصد اداء واع ، و الهابيتوس الذي يمثل المنطلقات الشخصية يشترك في انتاج الافعال والحياة الاجتماعية , وبهذا فهو يمثل مفهوما يجمع بين الذاتية و الموضوعية الفردية و توجهاتها ،بحيث يمثل التقاطع الدينامي بين البناءات والفعل ,و بين الفرد و الجماعة[2] .

في حين الهابيتوس او المنطلقات كمفهوم مكتسب ،تشكل نتيجة تفاعل الفرد مع محيطه الاجتماعي يساعد في تحليل سلوك منتظم ،دون ان يكون نتيجة كلية للقواعد الاجتماعية ،او العقلانية الواعية ،وانما نتيجة الربط بين الجانبين ،يرى بورديو ان التباين في البناء الاجتماعي ،و خاصة طبقيا ،يترتب عليه اختلافا في المنطلقات و الرؤى ،اي الهابيتوس ،الامر الذي يجعل من هذا التباين احد اوجه التناقض في المجتمع الامر الذي يترتب على اساسه وجود ايديولوجيات مختلفة ،خاصة وان تشكيل الايديولوجي يرتبط

[1] جون ليشته، مرجع سابق ، ص (106-107)

[2] عسى عثمان ، مرجع سابق ،ص168

بالوضع الاجتماعي (طبقي) حيث معنى الأيديولوجيا مجموعة المعتقدات الخاصة بالجماعة الطبقية ومصالح اعضائها[1] .

- **المجال** : يشير في معناه الى نشاط محدد في الحياة له تنظيمه و قواعده ،التي تتضمن تراتب مكانات ، كما هو الحال في مهنتي الطب و الهندسة ،فالمجال الاجتماعي يتشكل بنائيا ،بحيث يتم توزيع الافراد والمجتمعات داخله على اساس توزيع احصائي خاصة في مجتمعات الحديثة المتقدمة ،على اساس راس مال اقتصادي و راس مال ثقافي[2] .

و تحدث بورديو عن الحقل الاكاديمي و الحقل الديني و الحقل الاقتصادي في عمله ، مشيرا ان الحقل كشبكة علاقات موضوعية بين اوضاع اجتماعية مختلفة ،تعرف موضوعيا في اطارها الوجودي ،من خلال التحديدات المفروضة على من يحتلونها ،و بكلمات اخرى فان الحقل يمثل نسق من المواقع الاجتماعية مبنية داخليا في ضوء علاقات القوة ،و كل حقل هو محل لعلاقات القوة[3] ،ومن خلال كتابه التميز (distinction) ان فكرة الفارق (التميز) تشكل اساس مفهوم المكان بالذات (او الحقل) اي جملة اوضاع متميزة يواكب بعضها بعضا ويحدد بعضها بعضا من حيث سمتها الخارجية المتبادلة ،وبعلاقات القرب او الجوار او البعد ،وكذلك بعلاقات ترتيب مثل فوق و تحت وبين[4].

- **راس المال** : يعني به بورديو تملك ما يؤهل الانسان التحكم و السيطرة على مستقبله والاخرين ، وبهذا ترتبط ملكيته بتملك مصدر للقوة ،ولا ينحصر معنى مفهوم راس المال بالملكية الاقتصادية بل يتعدى هذا ليشمل اشكال اخرى من رؤوس المال اهمها رأسمال الاجتماعي و الثقافي التي تمثل رأسمال الرمزي ،وحدد بيار بورديو اربعة انماط مختلفة من رأسمال الذي يملكه الفاعل المجتمعي وهي :

---

[1] نفي المرجع ،ص169

[2] نفس المرجع ، ص171

[3] محمد الحوراني، مرجع سابق،ص78

[4] نفس المرجع 79

1- الرأسمال الاقتصادي: وهو الذي يقيس موارد الفرد المادية والمالية، ويرصد ثرواته و ممتلكاته، ويحدد دخله الشهري

2- الرأسمال الثقافي :يقيس موارد الفرد الثقافية ،مثل الديبلومات والشهادات العلمية و المهنية ،والمنتوج الثقافي من مقالات وكتب و دراسات واعمال ابداعية و ثقافية و فنية ،و ما يملكه من مهارات وكفاءات و مواهب و قدراتنا معرفية و مهنية وحرافية في مجال الثقافة

3- الرأسمال الاجتماعي :يقيس ما يملكه الفرد من علاقات اجتماعية و معارف و صدقات ،تعود الى ذكائه الاجتماعي الذي يستثمره لربط مجموعة من صلات رحم و القرابة والصداقة و الزمالة

4- الرأسمال الرمزي : و يتضمن الرأسمال الاقتصادي و الرأسمال الثقافي و الرأسمال الاجتماعي ،

وبهذه الانماط يتميز الفرد مجتمعيا عن باقي الافراد الاخرين، وقد اضاف بيار بورديو رأسمالا اخر في كتابه اسئلة السوسيولوجيا ،سماه بالرأسمال اللغوي الذي يعني عند بورديو التحكم في اليات تشكيل الاسعار اللغوية ، وكذا القدرة على جعل قوانين تشكل الاسعار تعمل لصالح صاحبه (اي رأسمال) والقدرة على استخلاص فائض القيمة النوعي ،ويعني هذا الرأسمال اللغوي خاضع بدوره لقيم الهيمنة و التنافس و الصراع ،له علاقة جدلية بباقي الانماط الاخرى من الرأسمال الرمزي[1]

- **اعادة الانتاج** :ان فعل اعادة الانتاج الاجتماعية ،وبشكل خاص ،اعادة انتاج نسق العلاقات الطبقات تؤكد المعطيات الاحصائية التي تتناول توزيع الثروات الاقتصادية والثقافية . ان دراسات الحركية المتصاعدة mobilité ascendante تفرض أيا يكن حجم الحركية المعنية ،اعادة انتاج يجدر التنويه بها[2] .

ويهدف تحليل بورديو لإعادة انتاج نسق الطبقات الى استخلاص كل النتائج من افعال اعادة الانتاج الثقافية متوقفا بشكل خاص عند وظائف النسق المدرسي لعمليات التمايز الثقافي الذي يفرض ويشرع التعسف الثقافي المسيطر والعمل التربوي باللجوء الى مختلف التمايزات .

---

[1] جميل حمداوي: ميادين علم الاجتماع ،مرجع سابق، ص99

[2] بيار انصار، مرجع سابق ، ص 37

وبناء على هذه المفاهيم و ما بينها من علاقات حاول بورديو ان يطور توجها تأمليا للحياة الاجتماعية ،يكشف فيه الظروف التي تساهم في تشكيل البناء الاجتماعي ،وفي الوقت نفسه ما يرتبط بهذه من تشكيل للمنطلقات و الرؤى و الاتجاهات الفردية ،فالأفكار و الادراك و الافعال المرتبطة بالهابيتوس محكومة بالتاريخ و الظروف الاجتماعية ،وفي هذا التأكيد لأهمية الخبرات الماضية و الظروف الاجتماعية القائمة [1] . نخلص الى ان بورديو في محاولته حل اشكالية الثنائيات ،خاصة بين الذاتي والموضوعي ،و الوضعية و المثالية ،والفرد و الجماعة ،قد طرح مفاهيم تربط بين هذه الجوانب ،معتمدا على دراسات امبريقية ،ودون ادعاء تطوير نسق نظري جامد كامل ،وقد اكد صفة النسبية و التغير في القوانين ،فكل قانون مرتبط بوعي محدد ،تتبدل حقيقته بتغير الوعي ،وبهذا يعطي الوعي دورا هما علما ان تشكله و تطوره مرتبط بالظروف الموضوعية ،وينتهي الى القول بان ازمة علم الاجتماع ناتجة عن نظريات دون ركيزة امبريقية ،او اعمال امبريقية دون توجيهات نظرية .

المحاضرة الخامسة : البنية الاجتماعية للواقع برجر ولوكمان

(البنائية الفينومولوجيةLe constructivisme phénoménologique)

اولا :المنطلقات الفكرية

يعتبر الفريد شوتز Alfred Chutz مؤسس هذا الاتجاه او النظرة للواقع الاجتماعي الذي ركز فيها على المعنى و الخبرة المعاشة وقام بتطويره اثنان من تلاميذه وهما

Peter Bergerمن أصل نمساوي و Thomas Luckmann من أصل سلوفاني في كتابهما المعنون . The Social Construction of Reality (1966) " البنية الاجتماعية للواقع " فحاولوا من خلال أطروحاتهم تبيان كيفية بناء وتشكيل الواقع الاجتماعي.

[1] عسى عثمان، مرجع سابق، ص173

فنطلق برجر ولوكمان من فرضيتين حيث كان الافتراض الأول أن المجتمع نتاج إنساني يتم بناءه من خلال النشاطات والتفاعل في الحياة اليومية والافتراض الثاني أن الإنسان بعد إنتاجه للبناءات والنظم الاجتماعية يصبح للوجود معنى موضوعي ويشكل الظروف التي يتم من خلالها تشكيل الشخصية وفق نماذج سلوكية طبقا للمكان والزمان، و أن معرفة الأفراد لواقعهم الاجتماعي تتم من خلال تفاعلهم بعضهم مع البعض الأخر وجها لوجه، اما اطار البناء الاجتماعي لبرجر ولوكمان فهو مجموع حصيلة عمليات تنميط التفاعل في علاقات الاولية يغلب التفاعل اعتمادا على الجانب الشخصي بدل التعامل على اساس وصفات ثقافية [1] ،أي تنميط كل فرد للفرد المتفاعل معه كاعتبار هذا الفرد تبعا لمهنته أو لصفة من صفاته التي تظهر عند التفاعل إلا أن التفاعل يؤدي إلى التفاوض حول تبادل التنميط وقبول تنميط كل متفاعل للأخر وكلما ابتعدنا عن العلاقات الاولية يزداد احتمال التنميط و الامتثال.

ينظر الباحثان إلى الواقع الاجتماعي والى الظواهر الاجتماعية باعتبارها مبنية من طرف الأفراد أي منجزة ظرفيا وتكتسي طابعا موضوعيا أو مؤسساتيا من خلال التفاعل ثم تتحول إلى عادات يستدخلها الفرد من خلال عملية التنشئة الاجتماعية ،والواقع هنا ينعكس في وعي الافراد و ذاتيتهم الداخلية او بعبارة اخرى يتم بناؤه داخل الوعي او داخل الذات و تحقق المعاني المشتركة من خلال اللغة و الرموز ،وتنقسم تعريفات الواقع الى نوعين :

1- معرفية تشير الى نوعية الاشياء القائمة

2- معيارية تشير الى ما يجب ان تكون عليه هذه الاشياء و يختلف الافراد فيما بينهم في درجة وضوح هذه التعريفات التي تمثل ضربا من ضروب المعرفة الاجتماعية.[2]

[1] ابراهيم عسى عثمان ، مرجع سابق، ص 260

[2] احمد زايد، مرجع سابق، ص400

وعليه فان البنائية الاجتماعية او البنية الاجتماعية تهتم إذن بكيفية بناء الواقع و تشكله وان المجتمع هو إنتاج إنساني وان حقيقته تجمع بين الحقيقة الموضوعية والذاتية و أن علاقة الفرد بالمجتمع علاقة تبادلية جدلية[1] .

ثانيا : المرتكزات الأساسية لأطروحة برجر ولوكمان

مما لا شك فيه المعرفة المشتركة لدى الافراد تساهم في خلق التكامل داخل المجتمع ،و فيما يتعلق بقضية التكامل او النظام العام يحدد بيرجر ولكمان ثلاث عمليات رئيسية تجعل الافراد يشتركون في مجتمع منظم وهي :

التشيء أو التشكيل النظامي Externalization: ينظر الإنسان للواقع كشيء خارجي له شرعيته و عملية التشيؤ كعملية ذاتية في أساسها تتضمن ميل الإنسان إلى النظر إلى البناءات الاجتماعي كواقع مستقل خارج عن إرادته ،و يظهر بمقتضاها انماط روتينية او معتادة من الافعال يشترك فيها انماط مختلفة من الفاعلين[2].

الشرعية (légitimation): بمعنى القدرة على تفسير و تبرير الاشكال النظامية من السلوك على مستوى المعنى و يتحقق ذلك من خلال المعرفة الاجتماعية بالواقع أي من خلال عملية التموضع يدرك الأفراد بواسطتها الحياة اليومية آو الواقع مرتب مسبقا يفرض نفسه لكنه مستقل عن البشر ويتم تشكيله بواسطة نظام من الموضوعات ترتبط بشكل أساسي بالتعبيرات اللغوية التي لها وجود مستقل وضابط ،فطالما كون الافراد تعريفات عن الواقع و تصوره في داخليتهم بطريقة معينة ،فان هذا الواقع سوف يكتسب صفة الشرعية عندهم و يلعب عالم الرموز دورا هما في هذه الشرعية .

الاستدماج Internalization :من خلالها يتم استدماج نظم المجتمع من خلال الادوار التي يلعبها الفرد "فطالما امتثال الفرد للدور المنوط به ،فان العالم الخارجي يصبح ذا معنى حقيقي بالنسبة له ،ومن ثم يصبح

[1] ابراهيم عسى عثمان، مرجع سابق، ص161

[2] احمد زايد، مرجع سابق، ص400

جزء ا منه ، فهي تعتبر بمثابة عملية التنشئة الاجتماعية التي يتم من خلالها إضفاء طابع الشرعية للعالم النظامي أو المؤسساتي الذي يضمن وجود واستمرارية عملية البناء الاجتماعي ،وهنا تبرز أهمية التنشئة الاجتماعية في ربط الأفراد بالعالم الذي عملوا على بناءه من خلال الجمع بين الواقع الموضوعي والذاتي . وعليه فالمجتمع كنتاج للنشاط الإنساني يجمع بين الموضوعية و الذاتية على أساس عملية جدلية مستمرة تتكون من لحظات ثلاث ،خارجية و موضوعية واستبطانية في آن واحد ، فالفرد يتحول إلى كائن اجتماعي بالتنشئة بداية بالاستبطان أو الفهم الآني يتبعه تشكل معان جماعية مشتركة بين الذوات ،يتعلم الطفل فيه ويقلد ادوار الآخرين ومواقفهم وعالمهم ،و يكتسب هوية في إطار محدد يتضمن فضاء لحريته وإبداعه[1] ، والمعرفة السوسيولوجية التي تعد هي نفسها صورة من المعرفة بالواقع –ماهي الا محاولة لفهم الطريقة التي ينظم بها الافراد عالمهم و درجة وعيهم ومعرفتهم بهذا الواقع .

المحاضرة السادسة : النظرية الانعكاسية الاجتماعية لانطوني جيدنز

اولا :اسهاماته وحياته العلمية

يعد انطوني جيدنز عالم اجتماع بريطاني ولد في لندن عام 1938م تخرج من جامعة كيمبردج وجامعات بريطانية وامريكية ،نشط سياسيا ،ساهم كمستشار لرئيس الوزراء البريطاني ،بلير في وضع فلسفة للحكومة ممثلة في كتابه "الطريق الوسطى " ،انشغل جيدنز في تحديد علم الاجتماع ومنهجه وموضوعاته و حول في فهم المجتمع وتحليله على عملية التأويل ،اذ يرى ان البناءات الاجتماعية هي نتاج عمليات التفاعل ،وتصبح بعد تشكيلها طرفا يساهم في تشكيل الفاعل واختياراته ،فالإنسان ليس حرا كليا في اختيار افعاله ،تحدد هذه الحرية الظروف والمواقف الاجتماعية ،ولكنه ليس محكوما حتما بتلك الظروف والمواقف ،وبهذا

[1] ابراهيم عسى عثمان، مرجع سابق، ص262

فهو يعبر عن جانب الوعي واللاوعي او درجة القصدية في الفعل الانساني من خلال مثاليات حافزة على حساب السببية في علاقة الفعل بالظروف و المواقف الاجتماعية [1] .

اما عن الانتاج العلمي لانطوني جيدنز فانه انتاج ثري فقد كتب ما يربو على مائتي مقال ،ما بين مقال بحثي ، او مراجعة كتب ،او مقال صحفي ،اما قائمة الكتب التي كتبها فتضم ستة وثلاثين كتابا اولها كتاب الرأسمالية و النظرية الاجتماعية الحديثة الذي نشر عام 1981م واخرها كتاب علم الاجتماع في طبعته الرابعة والتي صدرت عام 2001م و مرورا بكتب هامة نذكر منها كتاب قواعد جديدة في المنهج السوسيولوجي 1976م ونقد معاصر للمادية التاريخية 1981 م،وتكوين المجتمع :الخطط العامة لنظرية تشكيل البنية 1984 م،والدولة القومية والعنف 1985 م ومنتجات الحداثة 1990 م,والحداثة والهوية الذاتية 1991 م؛ والطريق الثالث 1998م ؛ وعالم منفلت :كيف تشكل العولمة حياتنا 1999م ؛ وقد ترجمت الى العربية ثلاث من هذه الكتب هي كتاب :قواعد جديدة في المنهج السوسيولوجي ؛والطريق الثالث؛ وعالم منفلت .

ثانيا : نظرية الهيكلة و الازدواجية البنائية

تعتبر هذه المساهمة لتجديد البنيوية قام بها عالم الاجتماع البريطاني انطوني جيدنز A. Giddens والمعروفة بنظرية الهيكلة Théorie de la structurationالتي تعتبر محاولة لتجاوز المقابلة الكلاسيكية بين الذاتوية و الموضوعية ،وقد استخدم جيدنز مفهوم البنيوية في النظرية الاجتماعية في محاولة متعمدة لبناء توليف نظري بين الاتجاهات البنيوية و نظريات الفعل ،تشير نظرية جيدنز الى الثنائية البنيوية فلا تقيد وتحدد البناءات فقط اشكال معينة من السلوك ولكنها تمكن السلوك ؛ فإنها توفر الفرص ،كما توفر قيود[2]

[1] نفس المرجع ، ص267

[2] فيليب جونز:النظريات الاجتماعية و الممارسة البحثية ، تر: محمد ياسر الخوجة ،القاهرة :مصر العربية للنشر و التوزيع ،ط1 ، ص259

لقد ظهر مفهوم التشكل البنائي او الهيكلة من داخل الخلاف التقليدي في علم الاجتماع بين البناء والفعل وهو يقدم نموذجا لتحليل المجتمع في ضوء هذه العلاقة ،فمفهوم التشكيل البنائي مجرد محاولة من سلسلة محاولات لحل الخلاف بين البناء والفعل و ذلك نحو ما يوضح نيوNew فيقول : "ظل جيدنز في مناهضته لكل من البنيوية و ما بعد البنيوية مصرا –بصورة ثابتة – على ان المجتمعات انما تتكون من الفاعلين القادرين على تحصيل المعرفة والذين تكون مراعاتهم للقواعد الاجتماعية فعلا وليست مجرد فعل وتؤكد نظريته في التشكيل الاجتماعي على انه في الوقت الذي يكون فيه المجتمع خارجا بالنسبة للأفراد –الذين قام هذا المجتمع بتشكيلهم – فان ابداعهم الذي يتم من خلال افعالهم هو الذي يعيد انتاج هذا المجتمع وهي الافعال التي تغيره كذلك "[1]،بمعنى ان افعالنا تتأثر بالسمات البنائية للمجتمعات ،الا اننا في نفس الوقت نقوم بإعادة خلق السمات البنائية ،ونقوم احيانا بتغييرها وتبديلها عن طريق افعالنا .

وبهذا ينطلق جيدنز من مسلمة أساسية في نظرية الهيكلة او تشكيل الاجتماعي وهي :

يرى جيدنز أن الأفراد يمتلكون قدرات تؤهلهم لمعرفة الواقع الذي يعيشون فيه والقيام بأعمال عقلانية و هادفة و بإمكانهم تبرير و شرح سلوكاتهم ،بحيث أن تحقق الأفعال الاجتماعية لا ترتبط على هذه القدرات وحدها بل أن نتائجها تظهر في نويا الحالات اي هي نتيجة لتلاقي نوايا متنوعة بتنوع الأفراد و لهذا فمن الضروري معرفة كيفية حدوث هذه الأفعال انطلاقا من هذا التنوع او ما يسميه جيدنز اللاشعور الاجتماعي الذي يصبح مهما في حال الازمات ،فالسلوك الانعكاسي يمكن ان يعبر عن النوايا والاسباب فقط ولتحديد هذه الكيفية يميز جيدنز بين البنيوية structurel (تمثل مجموعة القواعد و الموارد المنظمة بشكل تكراري) والأنساق الاجتماعية او مجموعات البنائية ensembles structurels وهي تجسيد الاشكال زمانية و مكانية محددة (مثل العلاقات بين الفاعلين و المجموعات و المنظمة في شكل ممارسات اجتماعية).

[1] ميل تشيرتون ،وان براون :علم الاجتماع :النظرية والمنهج ،تر: هناء الجوهري ،ط1 ، 2012،ص326

اما عملية الهيكلة فيستعملها جيدنز للإشارة الى الشروط التي تحكم استمرار و تحول البنيات اي كيفية تجسد البنائي في علاقات زمانية و مكانية و هذا تأكيدا للبعد الدينامي لحدوث الواقعة الاجتماعية وهو موقف اراد منه جيدنز ابراز الازدواجية البنائية La dualité du structurel ويعني ذلك ان خصائص البنائية للانساق الاجتماعية هي في ان واحد شروط لسلوكيات الافراد و نتيجة لها.

يقول جيدنز في هذا الشأن " في عملية انتاج التفاعل يستعمل الفاعلون الاجراءات التي تتضمنها الهيكلة و في نفس الوقت يساهمون في اعادة بناء الخصائص البنائية لهذه الأنساق [1] اي ان البناء يشمل تفاوت في القوة مما يتيح السيطرة في اطار يحمل شرعية القوة.

ويميز جيدنز بين النسقsystem و البناءstructure ،فالأول يدل على نمط ثابت يلاحظ في التفاعل ،مرتبط باطار زماني مكانيي اما البناء فيعرفه كقواعد و موارد تعمل كمخطط لتأويلات الجماعية ،فالبناء يرتبط بالتفاعل و الممارسات كما ترتبط اللغة بالحديث ،حيث يمكن اعتبار اللغة مثالا للبناء فالبناءات تنظم التصرف و الممارسات و في الوقت نفسه يعاد انتاجها بالأفعال و التفاعل[2] .

بهذا يؤكد جيدنز على ان انتاج واعادة انتاج المجتمع ينبغي ان يعالجا باعتبارهما محصلة للأداء المهارى لأعضاء المجتمع ؛و من تم فان البنى الاجتماعية يجب ان تدرك باعتبارها ممارسات يعاد انتاجها ،وان المعاني والمعايير والقوة هي امور متضمنة منطقيا في فكرة الفعل القصدي ؛فضلا عن ذلك ،فان صياغة العالم الاجتماعي باعتباره عالما ذا معنى او قابلا للتفسير والفهم تعتمد على اللغة ،هذه اللغة ليست مجرد نسق من العلاقات والرموز ،بل هي وسيط للنشاط العملي [3], ومن اجل توضيح القوة من خلال ثنائية البنية يشرح جيدنز :بان القوة ليست بذاتها مصدرا ،فالمصادر هي وسائل تمارس من خلالها القوة ،وهي عبارة عن ملكيات تشيد وتبنى في النظم الاجتماعية ،كما تستحضر ويعاد انتاجها من قبل الفاعل الواعي في مسار

[1]Jean Nizet :la sociologie de anthony giddens, ed :la découverte,paris ,2007 , P19

[2] ابراهيم عيسى عثمان، مرجع سابق، ص275

[3] انتوني جيدنز :قواعد جديدة للمنهج في علم الاجتماع ،تر: محمد محي الدين ،القاهرة :مجلس الاعلى لثقافة ،2000، ص32

التفاعل ،و القوة في الانظمة من الاستقلال والاعتماد بين الفاعلين او الكليات الاجتماعية Collectivités في سياقات التفاعل الاجتماعي ،ولكن جميع اشكال الاعتماد تقدم بعض المصادر التي يمكن من خلالها لهؤلاء الخاضعين ان يؤثروا في نشاطات اصحاب القوة ،وهذا ما يدعوا جيدنز ديالكتيك السيطرة في الانظمة الاجتماعية Dailictic Of Control [1].

وقد زودنا جيدنز بمجموعة من التوجيهات من خلال نظرية التشكيل :يجب علينا النظر الى الطريقة التي تربط بها الفعل والنسق الزمان والمكان ؛ والنظر الى حجم المعرفة المتجهة الى الذات التي يمتلكها الفاعلون الاجتماعيون ؛ والى مقدار المعرفة الضمنية التي يتعاملون معها ،وما شبه ذلك ,وحينما يناقش الدراسات التطبيقية ،فانه يميل الى ترجمة تلك الدراسات بلغة نظريته ،مما لا يضيف الكثير الى فهمنا للموضوع المطروح على بساط البحث[2]

ثالثا :التقليدية والحداثة

في مقاله المعنون "الحياة في المجتمع بعد التقليد 1994 قام جيدنز بتحليل طبيعة التراث و تواصل الاهتمام به وابتداعه في المجتمعات الحديثة ويعرف جيدنز التراث على النحو التالي :

افهم التراث بالطريقة التالية ...التراث يتصل بالذاكرة ،خاصة ما اطلق عليه موريس هالفاكس "الذاكرة، الجمعية ويشمل التراث الشعائر ويرتبط بما سوف اسميه "الفكرة التقليدية للحقيقة ،والتراث له حراسه ، وللتراث –على عكس من العادات – قوة ملزمة لها مضمون مزدوج اخلاقي و عاطفي ،و الذاكرة مثل التراث –بمعنى او باخر – تتعلق بتنظيم الماضي في علاقته بالحاضر[3]، بمعنى تعد الذاكرة الفردية والتراث الجمعي

[1] محمد الحوراني، مرجع سابق، ص68

[2] ايان كريب: النظرية الاجتماعية من بارسونز الى هابرماس ،تر: محمد حسين غلوم ،الكويت :سلسلة عالم المعرفة ،العدد244 افريل 1999،ص165

[3] مصطفى خلف عبد الجواد: علم اجتماع المعاصر، عمان: دار المسيرة للنشر و التوزيع، طبعة الثانية، 2011، ص 143

طريقتان لاستعادة الماضي او الاحساس به او ربط الماضي بالحاضر ،ومن الامثلة على ذلك الاعياد القومية و اعياد الاستقلال و اعياد ميلاد الافراد .

كما شدد جيدنز على ان الحداثة تمحق التراث خاصة في مرحلة الحداثة المتأخرة ، و المفكرون ما بعد الحداثيين يرون ان لفظ "حديث" لفظ محدد جدا ،فهو يشير الى الفترة الممتدة من حركة التنوير (وهي الحركة التي ظهرت في القرن الثامن عشر) وحتى اواخر القرن العشرين ،فلفظ "حديث "يستعمل بالارتباط مع الحداثة " والذي يشير في نظر المفكرين ما بعد الحداثيين الى اساليب معينة في التفكير في العالم ترجع اصولها الى حركة التنوير ،و في مقدمتها الايمان بالتفكير العقلي وتطبيق المعرفة العلمية في فهم وتفسير العالم الاجتماعي [1].

وهناك مجموعة من علماء الاجتماع من بينهم انطوني جيدنز و اولريش بيك يفضلون مصطلح الحداثة المتأخرة و يرفضون الراي القائل بان المجتمع الان يعيش مرحلة ما بعد الحداثة ،ويعرف جيدنز الحداثة المتأخرة بانها عصر يكون فيه المجتمع الحديث اكثر وعيا بتبعات الحداثة خاصة تبعاتها السلبية ويؤمن بان المشروع الحديث لتحسين الاوضاع الانسانية ممكن انجازه [2].

يرى جيدنز ان المجتمعات المحلية و تقاليدها الراسخة تبلى تماما بفعل الحداثة في مرحلة الحداثة المتأخرة او ما يسميها البعض ما بعد الحداثة و يحدث ذلك بسبب العولمة التي تعمل على تفريغ المجتمعات المحلية من تراثها الراسخ وعلى الرغم من التجدد المتواصل للتراث في المجتمعات الحديثة ، فقد قابل جيدنز بوضوح بين الحداثة و التقليدية و في رايه ان التغيرات الاساسية التي تميز الحداثة تظهر بشكل واضح في اثناء حديثه عن النظرية الانبنائية و علم الاجتماع التاريخي حيث وجود المخاطر والانعكاسية وقد طرح مقارنة تحليلية لتوضيح انه لا يوافق على مصطلح ما بعد الحداثة ويرى ان المرحلة الحالية حداثة راديكالية التي تتميز بوجود بعد مؤسسي متطور يعطي معنى للتشتت والتجزؤ داخل تلك المؤسسات ويرى ان ما بعد

---

[1] ميل تشيرتون ،وان براون، مرجع سابق، ص(261-262)

[2] مصطفى خلف عبد الجواد ، مرجع سابق، ص148

الحداثة كمرحلة ناتجة عن تحولات مجتمعية عميقة والذات الانسانية ليست فقط موقعا للقوى المتداخلة بل مجموعة عمليات نشطة ناتجة عن التأمل الذاتي للأفراد لذواتهم ؛

كما يرى جيدنز أن سمات الحداثة الرئيسية هي أربعة تكتلات مؤسسية متداخلة التأثير: الرأسمالية، والتصنيع، والقدرة على المراقبة وجمع المعلومات، ومركزية وسائل العنف. يرفض جيدنز القول بتجاوزنا الحداثة إلى مرحلة جديدة من الحياة الاجتماعية (ما بعد الحداثة)، بل يراها في حداثة متأخرة (حداثة عالية) غدت فيها عواقب الحداثة أكثر تطرفا وعالمية من ذي قبل. وجعل الهوية الذاتية والعلاقات والبني الاجتماعية في تغير لا نهائي[1] .

و يواصل جيدنز تحليله فيرى ان اوضح الصور الاجتماعية للحداثة هي الدولة القومية التي تواجه بعض التحدي اليوم من العولمة في مرحلة الحداثة المتأخرة ،وتعد الخصيتان الثالثة والرابعة اضافة هامة الى قائمة المخاطر.

رابعا : مفهومات انطوني جيدنز

مما سبق ذكره يمكن تلخيص بعض المفاهيم كالتالي :

- النظام الاجتماعي : ان النظام الاجتماعي يتكون اساسا من نشاط روتني ضمني يجري وفق قواعد معينة ،وان البنية تشير الى القواعد المضمرة في مثل ذلك النشاط ،ولذلك ترى ان جيدنز قادرا على القول :ان البنية توجد في الفعل وعبره فحسب ،شانها في ذلك شان اللغة التي توجد بنيتها في كلامنا وعبره فحسب ،وهذا ما يدعوه ب الممارسات الاجتماعية ،ويستطيع علم الاجتماع تجاوز تلك الثنائية التقليدية القائمة بين الفعل والبنية وهذه الثنائية حسب مصطلح جيدنز هي في الحقيقة الامر شيء واحد ،موضوع واحد للدراسة ذو

[1] Jean Nizet : OPCIT ,PP(51-57)

وجهين "ذلك ان مجال الدراسة في العلوم الاجتماعية طبقا لنظرية التشكيل لا هو خبرة الفاعل الفرد ،ولا وجود اي شكل من اشكال الكل المجتمعي ،بل هو الممارسات الاجتماعية المنتظمة عبر الزمان والمكان [1] .

- مفهوم الأنساق الاجتماعية : يقصد بالانساق الاجتماعية الممارسات الاجتماعية التي يعاد انتاجها او العلاقات التي يعاد انتاجها بين الفاعلين او الجماعات ،تلك العلاقات التي تنظم كممارسات اجتماعية مطردة و الأنساق الاجتماعية ليست لها ابنية ،ولكنها تتصف بخصائص بنائية ،ويتجلى البناء في الأنساق الاجتماعية في الممارسات التي يعاد انتاجها ويطوقها الزمان والمكان و في بقايا الذاكرة الموجهة لأفعال الفاعلين الانسانيين الذين يتمتعون بمعرفة كفؤة [2] ،ويعطي جيدنز للفرق بين التكامل الاجتماعي وتكامل النسق معنى خاص به ،فالتكامل الاجتماعي عنده يشير الى حالة التبادل القائمة بين الفاعلين في المواقف التي يكون فيها التفاعل وجها لوجه في حين يعني تكامل النسق حالة التبادل بين الجماعات والتجمعات ،ويعطي اهمية قصوى لمفهومي الزمان والمكان لتحليل الأنساق الاجتماعية و وصفها وتصنيفها ، وان الانتقال من التبادل القائم على التفاعل وجها لوجه الى التفاعل عبر الزمان والمكان يتم عبر مجموعة من العوامل الفاعلة في تلك العملية ،كوجود معرفة ضمنية بكيفية الاستمرار و الروتين والمعرفة الموجهة نحو الذات اي مراقبة افعالنا مراقبة واعية ،بالإضافة الى استخدام مفهوم النتائج غير المقصودة الذي نجده في نظرية الاختيار العقلاني الذي يصلح اساسا لتفسير وجود انساق اجتماعية منتظمة .

كما وضح جيدنز ظاهرة الانتقال من التبادل في التفاعل الذي يجرى وجها لوجه الى التبادل عبر الزمان والمكان عند معالجته وتحليله لآراء جوفمان ان خصائص الأنساق الاجتماعي هي بمثابة وسيلة ونتيجة لممارسات الفاعلين ،وهذه الخصائص تنظم ممارسات الفاعلين بصورة متكررة.

- **مفهوم المؤسسة** : ان مفهوم المؤسسة هي انتظام القواعد (البنى) في الزمان والمكان ويستعمل جيدنز مفهوم المؤسسة ليس بمعنى الهيئات المنظمة ،كالكنيسة او الجامعة ،بل بذلك المعنى الذي يكون فيه الزواج

[1] ايان كريب، مرجع سابق، ص156

[2] مصطفى خلف عبد الجواد، مرجع سابق، ص447

مؤسسة ،اي الممارسة الضاربة في عمق التاريخ والمكان ، ويرى ان الممارسة الاجتماعية لها خصائص معينة تقوم عليها المؤسسات الاجتماعية فهي تتضمن عملية التواصل ،كما ان الفعل ايضا يتصف بقدرته على التحويل اي تغيير العالم الخارجي فهو ينطوي لا محالة على القوة ،والقوة عند جيدنز شيء متأصل في جميع العلاقات الاجتماعية كالنزاع ويسميه ب جدل السيطرة ،وهذه السمة من سيمات الفعل تقود الى مسالة بنى الهيمنة على البشر والتي تفضى الى ظهور المؤسسات السياسية ،المؤسسات الاقتصادية ،والمؤسسات القانونية[1] .

-**مفهوم الانعكاسية:** تعد الطبيعة الانعكاسية سمة أساسية في الحداثة المتأخرة، حيث يزداد إدراك الأفراد وتفكرهم في اختياراتهم قبل وعقب اتخاذها، وهي اختيارات تفصيلية وعامة غير مسبوقة. يتولى الفرد مسؤولية عظيمة اليوم إذ يختار كل ما يخصه تقريبا، بداية من تفاصيل ملبسه مرورا بانحيازاته الفكرية والثقافية وذوقه الفني وهواياته ونوعية غذائه وذوقه وحتى الزواج والطلاق وتربية الأطفال و الانتاج و الاستهلاك وغير ذلك، وكل هذه الاختيارات تمثل طبيعة انعكاسية (ارتدادية) للذات في المجتمعات المعاصرة ،وبالتالي تصبح المعرفة التي بحوزتنا عن المجتمع عاملا مرتد بفعله على مجتمع بالذات [2] .

كما يستخدم جيدنز مصطلح الانعكاسية Reflexivity للإشارة الى الوعي الناقد القوى ،والذي يربطه بالحداثة المتأخرة ،ويعيده من الخصائص الاساسية للحداثة المتأخرة ،في حين يشدد اولريش بيك في تعريفه للانعكاسية على الاثار التدميرية غير مقصودة للحداثة (مثل تأثير الصناعة على البيئة) والتي اطلق عليها اسم مجتمع المخاطر الذي يسببه التحديث وقد اشار اليه جيدنز بمصطلح عدم اليقين المصنوع Manufactured uncertainty كارتفاع درجة حرارة الارض وتكاثر اسلحة الدمار الشامل [3] .

---

[1] ايان كريب، مرجع سابق، ص157-158

[2] فليب كابان ،جان فرانسوا دورتيه، مرجع سابق، ص169

[3] مصطفى خلف عبد الجواد، مرجع سابق، ص149

اما السلوك الانعكاسي يمكن ان يعبر عن نوايا و الاسباب فقط عندما ينظر الفاعل في السلوك بعد حدوثه او عندما يتساءل الاخرون في هذا السلوك ,وبهذا فهي عملية تبرير و تسويغ بعدية للسلوك[1] .

وبالانتقال الى مفهوم الاخر المرتبط بالانعكاسية الا وهو الاستجابة الانية الذي قدمه جيدنز ويعرفه على نحو اخر "...بانه مصطلح علمي اجتماعي للدلالة على شيء بسيط نعتمد عليه الان في بناء حياتنا على استخدام المعلومات نشطا ،وثم فانه كلما توارى التقليد ،كلما زادت قابليتنا لتلقى المعلومات ....هذه المعلومات هي منتج جديد لعلم ولثقافة نعتمد عليها لكي نقرر ماذا نفعل ،وكيف نعيش وكيف نكون ،بل ومن له ان نكون ..."[2] ،اي ما قدمه جيدنز حول مفهوم الانعكاس او ما يسميه بالاستجابة الانية ،ان المعرفة الجديدة حسب مفهوم الشك المصنوع او الثقة المفرطة او فقدان اليقين دورا محوريا في تجاوز مفاهيم الهوية والتقاليد والذات والحواجز الجغرافية ،تلك التي تسمح بوجود ثقافة عالمية واحدة .

لنأخذ كمثال ادارة المخاطر ، وهو موضوع اهتم به كثيرا هذه الفترة خاصة مع ظهور الامراض والاوبئة ان مرض كورونا على سبيل المثال احد امراض العصر اصبح يشكل خطرا كبيرا على الفرد والمجتمع وانه يجب بالتأكيد اتخاذ تدابير جائرة (صارمة) فهذا المرض يهدد بنشر الرعب والخوف بين الناس و يعرض كل القاطعات وبالأخص القطاع اقتصادي القاري والعالمي للخطر .

و ستأخذ الحكومة حينئذ تدابير لا تتناسب مع الواقع ،في حين ان هذه المبالغة في المخاطر ستسمح بالسيطرة على انتشار الوباء بالكامل على المجتمع (الحجر الصحي)؛ وعلى العكس اذا نشرت الحكومة اعلانا بشكل متأخر و قدمت تقديرات معقولة وحذرة حول ظهور المرض وكيفية انتشاره مثل ما حدث بأوروبا (إيطاليا و فرنسا ...)،سيحصل خطر معكوس وهو ان الافراد في كل المستويات لا يحملون المرض محمل الجدية ويفقدون شيئا فشيئا قدرتهم على الاستجابة مقارنة بالواقع وبهذا سينتشر المرض بشكل اسرع وترتفع نسبة الاصابة به .

---

[1] ابراهيم عيسى عثمان، مرجع سابق، ص 269

[2] نفس المرجع ، ص285

بمعنى البناء هنا يساهم في التشكيل النسبي لكل من الفاعل و المجتمع وسبب عدم التفاعل وتوقع السلوك يعود الى النتائج غير مقصودة (عكسية) وعدم الوعي الكامل بالظروف التي يتم من خلالها انتاج الفعل (هي في ان واحد شروط لسلوكات الافراد و نتيجة لها).

و وفق ما سبق يمكننا ان نقدم توصيفا للإشكاليات الحياتية التي تواجه الافراد في الواقع المعاش ،و حسب ما يسميه بالانعكاسية وهي :

1-ان المشكلات التي يتم تخليقها من خلال الذات الفردية او الجماعية ،تقف حجر عثرة امام تحقيق الاهداف .

2-ما يولده الاشخاص او الجماعات من خلال الافعال وما يعبرون عنها بشكل راديكالي ايضا سواء من خلال الفاظهم او حركاتهم او انفعالاتهم ،و هو يعبر عن مواقفهم تجاه الاشياء في الواقع .

3-تصدر الرؤى عن الافراد او الجماعات تجاه الاشياء ،و في هذا لا نفرق بين تفاهة الاشياء او جسامتها ،وهو ما نلاحظه بشكل واضح على جميع الصعد في العالم المعاش .

4-على الرغم من تباين الرؤى ليس فقط على مستوى الافراد ،انما ايضا على مستوى الجماعات ، فان الاختلافات تتباين ايضا في درجة شدتها او قوتها تجاه الاشياء .

5-اذا كان ثمة تعارض بين رؤى الافراد والجماعات ،فإننا يمكن ان نلاحظ ايضا ان الرؤى والاهداف الفردية هي التي تحدد وتنتج المشكلات التي تصبح شيئا ثابتا ولا يعترضنا اي تميز ،وهذا ما يتم استكشافه بطريقة جوانية .

6-ان رؤية الذات هي رؤى العالم ،فرؤى الذات هي التي تحدد مشكلات العالم وكيفية تأسيسها وتأثيرها ،وهي التي تتبدى ايضا من خلال قوتها او ضعفها او ثقتها المفرطة في كيفية فهمها و وضع التدابير لموجهتها .[1]

المحاضرة السابعة : التفاعلية الرمزيةSymbolic Interactionism

اولا :تعريف التفاعلية الرمزية

تعد التفاعلية الرمزية إحدى النظريات السوسيولوجية الأساسية المعاصرة التي تهتم بتحليل الأنساق الاجتماعية الصغرى ،فهي تدرس الأفراد في المجتمع و مفهومهم عن المواقف ،و المعاني ،و الأدوار ، وأنماط التفاعل وغير ذلك من الوحدات الاجتماعية الصغرى ،فهي عكس المنظورات التي تهتم بتحليل الأنساق أو الوحدات الاجتماعية الكبرى مثل نظرية الوظيفية و نظرية الصراع ،كما يتكون تيار التفاعلية الرمزية من جيلين من الباحثين كلاهما تكون في جامعة شيكاغو :

- "الجيل الاول (سنوات 1930-1940) اهم اعلامه بلومر herbert blumer و هوجي everett hugues والذان تكونا على يد السوسيولوجيين الاوائل لمدرسة شيكاغو
- الجيل الثاني (سنوات 1950-1960) اهم زعمائه غوفمان erving goffman و بيكر howaed becker ،اللذان تكونا على يد الجيل السابق" [2]

استفاد أصحاب التفاعلية الرمزية من مصادر فكرية عديدة أهمها الفلسفة البرغماتية والسلوكية لكل من جون ديوي j.Dewey و وليام جيمس w.james ،وكذلك من أعمال جورج هربرت ميد G.H.Mead، الذي

[1] شحاتة صيام :النظرية الاجتماعية من المرحلة الكلاسيكية الى ما بعد الحداثة ،القاهرة : مصر العربية للنشر والتوزيع ،ط1، 2009 ، ص292

[2] خوجة عبد العزيز :اساسيات في علم الاجتماع ،الجزائر: دار نزهة الالباب للنشر والتوزيع،2012 ، ص222

ربط فكرة الذات الفاعلة بعالم الرموز واضعا الأساس النظري للتفاعلية الرمزية، كما اتجه البعض إلى التراث ومنهج الفينومينولوجي و الاثنوميثودولوجي.

كما استفاد المعاصرون منهم من أفكار ماكس فيبر Max Weber وخاصة ما جاء لديه حول الفعل الاجتماعي والفهم[1] غير أن أصولها المباشرة كانت في أعمال الفيلسوف الأمريكي جورج هربرت ميد G.H.Mead.

و نظرية التفاعلية الرمزية تهتم بالقضايا المتصلة باللغة و المعنى و الرموز و النفس والانا ، الذات ، العقل ويشير G.H.Mead أن اللغة تتيح لنا الفرصة لنصل مرحلة الوعي الذاتي و ندرك ذاتنا و نحس بفرديتنا [2]،كما أنها تمكننا من أن نرى أنفسنا من الخارج مثلما يرانا الآخرين والعنصر الرئيسي في هذه العملية هو الرمز .

سنحاول فيما يلي التعرف على بعض الأعمال لتفاعلية الرمزية المعاصرة .

ثانيا :بعض الاعمال لتفاعلية الرمزية المعاصرة

التحليل المسرحي:أعمال ايرفينج قوفمانEriving Golfman (1922-1982)

يعد ايرفنج قوفمان اخر المفكرين البارزين الذين ارتبطوا بمدرسة شيكاغو الاصلية ،ولد عام 1922م وقد حصل جوفمان على درجة ماجستير و الدكتوراه من جامعة شيكاغو عام 1953م ،أي بعد عام واحد من انتقال هربرت بلومر (الذي كان معلما لقوفمان) من جامعة بيركلي الذي شغل فيها منصب الاستاذية ،حيت استطاعا تأسيس ما يشبه مركزا للتفاعلية الرمزية وبعد عام 1952م تضاءلت اهمية التفاعلية الرمزية على رغم من استمرارها كنظرية بارزة في علم الاجتماع ،رغم هذا بنى جوفمان لنفسه مكانا قويا ومتميزا في نظرية علم الاجتماع المعاصر ، وقد نشر خلال الفترة ما بين الخمسينيات و السبعينيات سلسلة من الكتب

[1] عسى عثمان، مرجع سابق ، ص114

[2] جميل حمداوي : نظرية علم الاجتماع ،مرجع سابق ، ،ص93

والمقالات التي كانت المخاض لميلاد التحليل المسرحي كشكل مختلف من اشكال التفاعلية الرمزية[1] ، ويعتبر من أشهر من يكتبون في علم الاجتماع النفسي في عصرنا هذا ،وقد عرض في نموذج او المدخل التحليل المسرحي لغة المسرح وتصوراته في تحليله السوسيولوجي للأفراد الذين يقومون بتقديم انفسهم الى غيرهم من الافراد ،ويرى ان الافراد بمثابة الممثلين على المسرح و الجهود في نفس الوقت ،و يهدفون اثناء تفاعلهم مع الاخرين الى تقديم الصورة الافضل عن الذات و في النموذج او المدخل المسرحي يتم تحليل السلوك بنفس الطريقة التي يقوم بها الفرد بتحليل عرض المسرحية على الجمهور [2]، و وضح هذا في كتابه تقديم النفس في الحياة اليومية the presentation of self in every day life الذي نشر عام 1959م اذ يقول: "إن المبادئ التي توجهه هي من نوع التأليف المسرحي و أن منظوره يماثل منظور الأداء المسرحي و بهذا فان أعماله تقع نوعا ما بين التفاعلية الرمزية و تقاليد الظاهرتية " [3].

يهتم بشكل أساسي في كتابه تقديم النفس بالأسلوب الذي يقدم به الشخص نفسه للآخرين ونشاطه في مواقف العمل العادية و الأساليب التي عن طريقها يضبط الفرد الانطباعات التي يشكلها الآخرين عنه ونوع الأشياء التي يرغب ولا يرغب في عملها أثناء انجازه عمله أمامهم و يستخدم قوفمان لغة المسرح قياسا على الدور في المسرح الذي يتطلب مظهر وفعل معين من اجل تقديم صورة افضل عن الذات، فقام بتحليل الفعل من زوايا ثلاثة كما يوضح جيدنز هي :

1- قدرة الفرد على فهم ما يقوم به واستخدام هذا الفهم في توجيه فعله .

2- يظهر المتفاعلون ثقة في التحكم الجسماني والمناورة والقدرة على التأويل اتصالات الآخرين .

3- قدرة الإنسان على قراءة الموقف وقلب الأحداث يعطيه شعورا بالقيمة و العظمة [4].

---

[1] مصطفى خلف عبد الجواد ، مرجع سابق ، ص346

[2] طلعت ابرهيم لطفي ، كمال عبد الحميد الزيات : النظرية المعاصرة في علم الاجتماع ،القاهرة : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ،1999،ص128

[3] ارفنج زايتلن ، مرجع سابق، ص318

[4] عيسى عثمان، مرجع سابق، ص140

من خلال الفعل يهتم قوفمان بالأساليب التحكم بالانطباعات –بالمشكلة المسرحية التي تتعلق بتقديم الإنسان لنفسه وأفعاله للآخرين انه يهتم ب الأداء أو المواجهة أو بالتأثير المتبادل بين الأشخاص عند المواجهة وتعتبر هذه العملية أساسا للوعي بالذات فلا ينحصر الاهتمام هنا بما يفعل الفرد وإنما بتصوراته وتأويلاته فالفرد هنا كائن عقلاني دينامي ناشط موجه لحل مشكلات قادر على تأويل واخذ واستنباط ادوار الآخرين وليس مجرد منفعل بما هو قائم اجتماعيا ثقافيا فالتفاعلية الرمزية حسب قوفمان تقوم بتشبيه كل من المعاني والرموز و الأشكال و التعبيرات أو الإيماءات الوجه التي تعكس دور الفرد في الحياة اليومية بلغة وفعل الممثل على المسرح فالفرد الناجح في الحياة هو الذي يجيد تمثيله لدوره أمام الكبار إذ يحصل على رضاهم واستحسانهم بينما الفرد الفاشل في الحياة هو الذي لا يعرف كيفية تمثيل دوره أمام مسؤولية ،فتمثيله الفاشل يثير سخط واستهجان مسؤولية وبالتالي إخفاقه في الحياة وعدم تقدمه في مجالاتها و يتحول بفضل الظروف لشخص موصوم يعيش في خوف وقلق فهو يحتاج دوما إلى توظيف استراتيجيات لتقديم نفسه وتحكم في انطباعاته انظر كتاب النظرية المعاصرة في علم الاجتماع[1] .

لقد لخص قوفمان فكرته عن الحياة الاجتماعية بوصفها عملية تمثيل حيث ان الذات لا فحوى لها غير ما هو متوقع منها في مواقف مختلفة ،ونحن لدينا من الذوات بقدر ما هنالك من مناسبات ومواقف مختلفة و كذلك الامر ينطبق على فريق بالمستشفى او المصحة العقلية .

على الرغم من المكانة العلمية لقوفمان خاصة في مدرسة التفاعلية الرمزية واعماله المشهورة بنظرية المسرحية او ما يعرف بالتحليل المسرحي ،الا انه وجهت له بعض الانتقادات ومنها :

- انه انشغل بموضوعات محددة بدل من الاهتمام بالجوانب الاساسية الفعلية للحياة الاجتماعية اي ان تفسيرات التحليل المسرحي لا تناسب الا المواقف التي وضعت فيها ،وليس بمقدورنا ان نضع تعميمات عن الحياة الاجتماعية ،والمجتمع بصفته محادثة ظاهرة تتغير باستمرار وبالتالي لا يمكن وضع تعميمات مجردة ؛

1ارفنج زايتلن ، مرجع سابق، ص(317–351)

- انه كان منظرا على مستوى المجهري في وقت كان الاطراء فيه من نصيب المنظرين على مستوى الوحدات الصغرى .

- انه جذب بأعماله عدد محدودا من الطلاب الذين استطاعوا ان يبنوا على آرائه و الحقيقة ان بعضهم امن بانه يستحيل ان تبنى على اعمال قوفمان التي ينظر اليها على انها ليست سوى سلسلة من الآراء الذاتية الامعة [1]

- واخرها انه لا يوجد سوى اعمال قليلة قام بها اخرون في سياق التحليل المسرحي(باستثناء دراسات ليمان وسكوت،1970)[2].

ظاهرة الانحراف : أعمال هوارد بيكر Howard .Saul .Becker

يعتبر هوارد سول بيكر واحد من اهم الشخصيات المؤثرة في تيار التفاعل الرمزي ،ولد في عام 1928م، و ترعرع في شيكاغو ودرس هناك درجاته الثلاث كلها ،وقضى غالبية حياته العلمية في جامعة نيو ويسترن قبل انتقاله الى جامعة واشنطن عام 1991م ترجع شهرة بيكر الى دراسته في علم اجتماع الانحراف ،لكنه قام بالبحث و الكتابة في مجالات اخرى مثل التعليم والفنون والمنهجية النوعية ،وهو يشير دوما الى اساتذته ايفرت س،هيغ و هربرت بلومر ،كما كان مولع بموسيقى الجاز و نشر اول ابحاثه العلمية بعد انهاء دراسة الدكتوراه بعنوان :the professional dance musician and his audience

في العام 1951م و وصل كتابته عن الموسيقى في اواخر العام 2000م ،و يعتبر بحث هوارد بيكر اهم اعمال البحثية الذي أجراه حول المدمنين او المتعاطين الماريخوانا ،الذي جاء تحت عنوان الغرباء: دراسة في سوسيولوجية الانحراف Outsiders :studies in sociology of devaince الذي ظهر سنة 1953م ،من الدراسات التي ساهمت في تطوير التفاعلية الرمزية من خلال دراسة مواضيع الانحراف كمقاربة تفاعلية و ظهور نظرية جديدة وهي نظرية الملصقات و المقاربة التفاعلية لظاهرة الانحراف.

---

1 عبد العزيز بن على الغريب، مرجع سابق ، ص341

2 مصطفى خلف عبد الجواد، مرجع سابق، ص347

سنحاول فيما يلي التعرف على نظرية الملصقات و التفاعلية لظاهرة الانحراف بشكل مختصر

نظرية الوصم او الملصقات la théorie de l'étiquetage

تعتبر نظرية الملصقات (العلامة) من النظريات المفيدة التي تساعدنا على فهم كيفية تعريف الناس لأنفسهم على اعتبار انهم منحرفين ثم يتصرفون طبقا لهذه الهوية الذاتية المنحرفة ،كما تساعدنا على فهم كيفية تقبل الناس لمركزهم في الحياة ،وتساعدنا على معرفة اسباب نجاح بعض الناس و تمكنهم من تحقيق اهدافهم ،بينما يتقبل بعض الناس انفسهم على اعتبار انهم فاشلين[1] .

وقد استخدمت نظرية الوصم او الملصقة في تفسير مشكلة الجريمة و الانحراف حيث ترى ان الافراد يرتكبون السلوك الاجرامي نتيجة رد فعل المجتمع نحوهم ،ونجد اجهزة الضبط الاجتماعي مثل الشرطة و المحاكم قد تصنف الافراد بناء على قوانين و قواعد رسمية ،وهذه العملية ليست فقط حصر وتسجيل انماط و سلوك المنحرف بل تحدد في نفس الوقت نمط السلوك الذي يمكن النظر اليه على اعتبار انه سلوك منحرف ،كما تعتمد هذه النظرية في تفسيرها لسلوك المنحرف على رد فعل المجتمع او الاستجابة المجتمعية فقط في تفسير اسباب الانحراف ،وتميل الى رفض وجود الانحراف بعيدا عن عملية الضبط او المقاومة الاجتماعية للانحراف [2].

تطلق تسمية نظرية الوصم او الملصقات Labelling theory على مجموعة من التحاليل القريبة من تحاليل هوارد بيكر وهي تسمية تشكلت باستعمال المصطلحات التي استعملها هذا الباحث في دراسته حول المدمنين على المخدرات الماريجوانا المشار اليها بنظرية التصنيف وحدد ثلاث مراحل رئيسية يمكن من خلالها ان يصبح الناس مؤهلين لتفهم ""شخصية منحرفة" تعاطي الماريجوانا وهي كتالي:

_ ان يتعلمو فنيات التدخين

–تعلم كيفية استقبال تأثيرات العقاقير

1طلعت ابراهيم، مرجع سابق ، ص128

2 نفس المرجع، ص129

–تفسير المشاعر مثل اللذة.

إذ يرى بيكر ان الانحراف ليس صفة موروثة في نوعيات معينة من الافراد او السلوك ،لكنه تصنيف يرجع الى من يكسر قواعد في وضع اجتماعي معين [1]، أي هو إنتاج اجتماعي وليس صفة خاصة بالفرد الذي أطلقت علية صفة المنحرف نتيجة قيامه بسلوك مخالف لما هو معتاد عليه اجتماعيا. ويمكن ان يكون في سياق ما انحرافا وفي سياق اخر لا يكون كذلك ، يقول هوارد بكير حول هذه النقطة بالذات كما يلي: "من هذا المنظور، فان الانحراف ليس خاصية للفعل المرتكب من طرف الفرد بل هو نتيجة لتطبيق الأفراد الآخرين لمعايير العقاب لهدا الفرد الذي قام بهذا الفعل المنحرف هو الفرد الذي نجح الأفراد لآخرون في وضع ملصقة على فعله والسلوك المنحرف هو السلوك الذي يصنف تحت هذه الملصقة"

نظرية بيكر في لانحراف (النموذج التصنيفي):

انطلاقا من نظرية الملصقات اظهر بيكر إن الانحراف ليس فقط شان الذي يحمل وصماته بل أيضا شان السلطة التي تسن معاييره إنها طريقة جديدة في وصف الشؤون الاجتماعية كعمليات ولكل فاعل من الفاعلين فيها حصة ، فالانحراف على هذا الاساس هو مسالة تتعلق بثقافة المجتمع وبنظرة ابنائه ،و أوضح بيكر أهمية المقاربة التفاعلية و قام بتطبيق نموذج التصنيف بانتهاجه التحقيق المباشر فهو لا يهتم كثيرا بدوافع السلوك المنحرف كما جاء في نموذج الاتفاق عند ميرتون ، لان هذا السلوك يصدر عادة من افراد وجماعات تعتبره سلوكا طبيعيا ،ولكن المجتمع هو الذي يصفه بالانحراف ،ولعل هذا ما جعل بيكر يتجاوز السؤال عن الدوافع الى السؤال عن :لماذا المجتمع ينظر الى انشطة معينة على انها انشطة انحرافية ؟ وبوجه عام فان النموذج التصنيفي يعتمد في تحديده للانحراف على التصنيف الثقافي للسلوك و الافعال الاجتماعية داخل المجتمع[2].

1 جون ليشته، مرجع سابق، ص134
2 نفس المرجع ،ص269

كما ان نظرية الملصقة تؤكد اننا يجب ان نسال سؤلا اضافيا ونهائيا :من اين يأتي هؤلاء الضحايا ؟ او لماذا يكون هؤلاء الناس ضحايا هذه الملصقات وليس غيرهم ؟ والاجابة التي تقدمها نظرية الملصقة هي في النهاية تتعلق بممارسة السلطة و طبقا لنظرية الملصقة معظم الملصقات مدمرة في الحياة الاجتماعية وترتبط عادة بأكثر اعضاء المجتمع ضعفا وقلة سلطة ويصف بيكر ان هذا الملصقة هي انعكاس لممارسة السلطة وبانها العملية التي يصبح فيها ضحيا الظلم في المجتمع ما هم ضحايا الظالمين أي ان المنحرفين ينظر اليهم عامة على انهم ضحايا وليس على انهم خاطئين ،فان الضحايا هم ضحايا الظلم الذين يتم تحويلهم الى مجرمين في حين ان الخاطئين هم ضحايا الظلم الاكثر سلطة الذين يدافعون من لا سلطة لهم ، هذه الخاصية لطرق او اساليب ملصقة السلوك الانحرافي بوجه عام[1].

كما أن للمقاربة التفاعلية التي طورها بيكر انها تدعوا إلى اعتبار الانحراف عملية قيد التشكيل دوما ،يمكن فيها للأفراد أن ينخرطوا (أو لا ينخرطوا) وبقدر ما ينخرطون فيها بقدر ما يزداد تورطهم ويصبح من الصعب عليهم أن يتخلوا عنها ،وان لكل نمط من الانحراف يشكل سيرة مهنية خاصة وان الدور الأساسي للمجتمع هو تحديدها .

علم اجتماع العواطف : أعمال ارلي رسل هوشيلد

تعتبر ارلي رسل هوشيلد مؤسس حقل فرعي في علم الاجتماع و هو علم اجتماع العواطف ولدت هوشيلد في عام 1940م وحصلت على درجة الماجستير والدكتوراه من كاليفورنيا في بيركلي ويعد كتابها القلب المروض : الاتجار بالمشاعر الإنسانية the Managed Heart :commencialization of Humain Feeling عملا طليعيا .

وتوضح هوشيلد في سيرة ذاتية حديثة ان فكرة تناول عالم العواطف والمشاعر سار بجدية مع استمرار تناول خبرات المراة والتصورات العامة لتلك الخبرة .

1 فيليب جونز، مرجع سابق ، ص163

انطلقت هوشيلد من عدد من المنظرين بما في ذلك ديوي ،وجوفمان ،وفرويد وتشير إلى أن كلا من جوفمان وفرويد قدما وجهة نظر محدودة للعواطف بالنسبة لجوفمان فقد تخصص في دراسة الارتباك و الخجل بينما تخصص فرويد في تحليل القلق وبالمقابل فان نظرية هوشيلد تشمل المدى الكلي للعواطف ، فهي تتضمن الحزن ،والكأبة و الإحباط والغضب و الخوف والخزي والعار والذنب والألم والحسد والغيرة والحب والشفقة والارتباك والخجل والقلق [1].

لقد اهتمت هوشيلد على كيفية مراقبة المشاعر كجزء من إدارة الانطباعات لدينا و توصلت بأن الإشارات العاطفية قد تكون من بين أهم الإشارات في التفاعل البشري ومراقبته باعتماده على التحليل المسرحي لإرفينج جوفمان حين شرح كيف نتعامل مع ملابسنا وشعرنا وإكسسواراتنا وإعداداتنا وما إلى ذلك من أجل تقديم نوع معين من الذات عندما نواجه اشخاص الآخرين

ومن خلال كتابها القلب المنظم تؤكد هوشيلد أننا نمتلك أفكارا عما يجب أن تكون عليه المشاعر، بصرف النظر عما نعتقد أنه شعور. فنحن نقول: «يجب أن تكون سعيدا بفوزك بالجائزة» أو «يجب أن تكون غاضبا مما فعله». ونقيم التوافق بين الشعور والسياق في ضوء ما تسميه «قواعد الشعور»، والتي تكون متجذرة بعمق في الثقافة، نحاول في ضوء قواعد الشعور هذه إدارة مشاعرنا –أي نحاول أن نكون سعداء في حفلة، أو حزينين في جنازة. يكون الشعور في كل هذه الطرق –تجربتنا في التفاعل، وتعريفنا للشعور، وتقييمنا للمشاعر وإدارتها– اجتماعيا.

كما قدمت لنا طريقة لرؤية وفهم المشاعر كجزء من عرض الذات و في نظرها المشاعر ليست مجرد ردود أفعال عاطفية يمر بها الفرد بشكل خاص. المشاعر هي تعبيرات اجتماعية عن الحالة العاطفية للفرد. على هذا النحو ، فهي تعمل مثل أي تلميح آخر يتم تقديمه في لقاء ما: فهي تشير إلى شيء ما حول نوع

[1] راث ولاس :النظرية المعاصرة في علم الاجتماع ،مرجع سابق ص404

الذات التي يدعيها الفرد وينتج عنها توقعات منسوبة للواقع ،وفق مجموعة من الطرق التي تؤدي للعمل العاطفي[1] وهي :

- محاولة تغيير الافكار التي نشعر بها تجاه شيء ما
- استخدام الجسد لمحاولة قيادة العاطفة في اتجاه مرغوب فيه
- استخدام الإيماءات التعبيرية

لكن أهم طريقة لإدارة العواطف هي من خلال التمثيل العميق و يتم الأداء دائما مع مراعاة الجمهور وردود أفعالهم ومشاركتهم. في طريقة التمثيل وقدمت هوشيلد طريقتين اساسيتين لاستدعاء المشاعر :

الطريقة الاولى : تتضمن النصح ، وهو عبارة عن جهود مباشرة تُبذل للحث على الشعور أو منعه

الطريقة الثانية : لإدارة المشاعر (النهج التخيلي ذاكرة العاطفة)تستخدم الخيال وتقترب من العاطفة بشكل غير مباشر. هنا ننتقل إلى المنزل "إلى ما يمنح قوة البصر أو الصوت أو الرائحة، بعبارة أخرى، من خلال العمل التخيلي يمكننا تقديم إشارات معينة إلى أنفسنا، إشارات محملة عاطفيا، ثم تثير هذه الإشارات المشاعر بالطريقة نفسها التي تثيرها تجربة الحياة اليومية، لذلك بدلا من محاولة التلاعب بمشاعرنا بشكل مباشر من خلال الإرشاد، وبالتالي إنتاج فعل ما، فإننا "نخدع أنفسنا" للرد على منبه عاطفي وتصف هوشيلد قواعد الشعور على انها أدلة عاطفية محددة اجتماعيا ويتم توزيعها بشكل مختلف حسب الحالة الاجتماعية ، والطبقة والأهم من ذلك حسب الجنس[2].

ومن اهم اعمال هوشيلد لفهم أفضل للتفاعل الاجتماعي في الحياة اليومية، نجد كتاب التحول الثاني : الأبوين العاملين والثورة في البيت" اين قامت بتحلل كيف يدير الوالدين العاملين عواطفهما عندما يجربان الضغط الناتج عن التشارك في تربية الأبناء وتدبير الشؤون المنزلية في تحولهما الثاني، داخل البيت، و

[1] Arlie Hochschild: The Presentation of Emotion - SAGE, P1….. https://www.sagepub.com

[2] Ibid , P2

وجدت أن معظم النساء يكن ممنونات إذا شاركهن أزواجهن على الأقل بعض الأعمال الأقل قيمة في التحول الثاني .

بالإضافة الى كتاب "ربط الوقت :عندما يصبح مكان العمل البيت ويصبح البيت مكان العمل اما في كتابها الموسوم " الاتجار بالحياة الحميمة "فهي تنظر إلى الأمهات اللواتي هاجرنا من العالم الثالث إلى العالم الأول بحثا عن العمل إما لأن أزواجهن قد هجرنهن، أو هربا للإساءة معاملتهن في الحياة الزوجية، وباعتبارهن يتولين الاشراف على البيت في غياب الزوج فإن هؤلاء النساء حولن وقتهن وطاقاتهن لرعاية أبنائهن بالإضافة إلى الدراسات حول "الجغرافيا العاطفية "في مكان العمل، تدعو إلى توسيع الجهود البحثية في قولها: " أعتقد أننا نستطيع تطبيق منظور علم اجتماع العواطف على قضايا اليوم المختلفة، وذلك كمحاولة لدفع و ابراز الحقول النظرية الجديدة في علم الاجتماع، ولتوضيح القصة الإنسانية غير الجديرة بالسياسة الاجتماعية[1]."

وعليه إن العواطف – وفق التحليل السوسيولوجي – تمثل رابطا مفصليا بين المجتمع والمجالات الأكثر شخصية في حياة الأفراد، أي تربط بين الجوانب العقلية والعضوية في وجودنا، وتساهم الإشارات والرموز في تطوير اتجاهات وتحديد مستويات مختلفة من التعبير والأحاسيس .

الفكر النسوي للسود: أعمال باتريشيا هيل كولينز Patricia Hill Collins

حصلت باتريشا هل كولينز (Patricia Hill Collins) على درجة البكالوريوس من جامعة براندیس في عام 1969 م والماجستير من هارفرد عام 1970 م ، والدكتوراه في علم الاجتماع من براندیس في عام 1984 م وهي الآن أستاذ مشارك في قسم الدراسات الإفريقية الأمريكية بجامعة ساينساتي، وكتابها الموسوم" الفكر النسوي الأسود :المعرفة والوعي و سياسات التمكين"، يمثل كما توضح" مرحلة واحدة في كفاح المستمر لاستعادة صوتي"، كتابها أكثر حداثة يحمل عنوان " :السياسات الجنسية السوداء :الأمريكان

[1] راث ولاس، مرجع سابق، ص 408

الإفريقيين، و الجندر، والعرقية الجديدة "وقد قدمت الجمعية الأمريكية لعلم الاجتماع جائزة جيس برنارد إلى باتريشا هل كولينز ودوروثي سميث في عام 1993 م بمناسبة استذكار عملها الجدير بالعلماء والذي وسع آفاق علم الاجتماع ليشمل دور المرأة في المجتمع بكل ما في الكلمة من معنى[1].

تعرف باتريشيا هيل كولينز كمنظرة اجتماعية، تستمد أفكارها من العديد من التقاليد الفكرية. وهي ممن يعيد صياغة مفاهيم العرق والطبقية و الجندر باعتبارها أنظمة قمع متشابكة وقد قدمت فكرة النسوية السوداء كنظرية للمعرفة بالقول إنها مستمدة من التجربة الشخصية للمرأة السوداء التي تتعامل مع كليهما العنصرية والتمييز الجنسي و تستخدم نظرية المعرفة لتمكين النساء السود للسيطرة وتحسين وضعها في المجتمع كما تصفهم بأنهم "غرباء في الداخل". وهي تعني بهذا أن النساء السوداوات قد جربن ما يكفي من الداخل لفهم أين يكذبن اجتماعيا مع وجود مسافة كافية من المجموعات المسيطرة لتقديم النقد و تصور الهويات على أنها "مواقع" عضوية وسلسلة ومترابطة ومتعددة وديناميكية اجتماعيا في سياق تاريخي ، وتبين كولينز بان الصور المنضبطة و الموجهة للأنوثة السوداء صممت لإظهار أن العرقية الجنسية و الفقر جميعها طبيعية وعادية وجزء لا يمكن تجنبه من الحياة اليومية و قدمت كولينز تفسيرين رئيسيين لوعي المجموعات المضطهدة[2].

1- الأول يدعي أن أولئك الذين يتعرضون للقمع يتهمون مع الجماعات المهيمنة وبالتالي ليس لديهم تفسير فعال للحكم الذاتي لاضطهادهم.

يفترض النهج الثاني أن المرؤوسين "أقل إنسانية" من أولئك الذين فوقهم مما يجعلهم أقل قدرة على فهم تجاربهم الخاصة والتحدث عنها في حين أن النساء السود قد يكون لديهن تجارب مشتركة ، فإن هذا لا يعني أن جميع النساء السود قد طورن نفس الأفكار مثل بعضهن البعض.

وتبين كولينز بأن الصور المنضبطة والموجهة للأنوثة السوداء " صممت لإظهار أن العرقية الجنسية،

---

[1] نفس المرجع، ص412

[2] من موقع https://stringfixer.com/ar/Standpoint_feminist_theory
تم تفحصه يوم 22 افريل2021 على الساعة00: 22

والفقر جميعها طبيعية، وعادية، وجزء لا يمكن تجنبه من الحياة اليومية ...إن مثل هذه الصور ...لا تبقي المرأة السوداء خاضعة و مظلومة فقط، لكنها أساسية في الحفاظ على الأنساق المتشابكة للظلم العرقي، والطبقي والنوع الاجتماعي .

وتناقش كولينز ثلاثة عوامل أدت إلى رفض تلك الصور الموجهة :علاقة النساء السود مع بعضهن البعض، وتقليد القميص الفضفاض الذي ترتديه المرأة السوداء، والتأثير المنبثق لمن يكتبون عن المرأة السوداء والذين قدموا تعريفات بديلة، تقدم كولينز مثالا لرفض دور المربية الزنجية للأطفال البيض من بحث بوني ثورنتون ديل حول أنماط تربية الأطفال بين ربات المنازل السوداوات، إن المشاركات في دراسة ديل ان ربات المنازل شجعن أطفالهن على تجنب العمل المنزلي، ولم يشجعنهم على الاعتقاد بأنهم مختلفين عن البيض.

يتضمن عمل كولينز، مثل زمل، عناصر من التفاعلية الرمزية وكذلك من نظرية الصراع، مثلا، تعتبر مفاهيم السيطرة والخضوع مركزية بالنسبة لتحليل كولينز لظلم المرأة الإفريقية الأمريكية، وتصرح كولينز : "لقد حاولت فهم الفكر النسوي المركز إفريقيا كما هو قائم في سياق السيطرة، وليس كنسق من الأفكار المكتشفة في الواقع السياسي والاقتصادي، لقد اختبرت وجهة نظر المرأة الإفريقية الأمريكية الخاضعة كما هي قائمة من اجل فهم الفكر النسوي الأسود كمنظور جزئي للسيطرة".

وتصرح كولينز بأن " المرأة الإفريقية الأمريكية رفضت بصورة علنية نظريات القوة التي ترتكز على السيطرة من اجل الإمساك برؤية بديلة للقوة ترتكز على رؤية إنسانية لعقلانية الذات، وتعريف الذات، وتحديد الذات .

وتشير إلى الولادة الحديثة لفكر النسوي الأسود ضمن مؤسسات من قبيل المدارس، والكنائس ووسائل الإعلام، وتدفق الفكر النسوي الأسود في التاريخ والأدب الذي يتحدى مباشرة الفكر الذكوري المركز أوروبيا والذي ينتشر في تلك المؤسسات[1] ،وعليه يتضمن عمل كولينز عناصر من التفاعلية الرمزية وكذلك نظرية الصراع كتحدي للفكر ألذكوري المركز أوروبيا .

[1]راث ولاس، مرجع سابق ، ص418

تهدف نظرية وجهة النظر النسوية السوداء إلى توعية هذه الفئات المهمشة وتقديم طرق لتحسين وضعها في المجتمع من جهة ودراسة التفاوتات الاجتماعية من خلال الارتباطات البنيوية الاجتماعية بين النوع والعرق والطبقة التي تساعد على فهم بنية القهر والهيمنة التي تتعرض لها المرأة في ضوء التركيبة الاجتماعية التي توجد فيها من جهة أخرى.

المحاضرة الثامنة : علم اجتماع العلوم

اولا : علم اجتماع العلوم (مفهومه ،نشاته ،تطوره)

يعتبر علم اجتماع العلوم فرع من فروع علم الاجتماع العام الذي ينظر اليه علم شاب نسبيا اي حديث النشأة طالما ان ماسسته لا ترجع الى اكثر من اربعين عما ، كما انه شديد الديناميكية. هذه الحركة التطورية لم تسر في اتجاه واحد بسبب طبيعة التحديات التي يوجهها هذا الفرع من العلوم، والناتجة من غياب القاعدة المنهجية والنظرية الموحدة للباحثين في إطاره، لكن علم اجتماع العلوم في العقدين الأخيرين، إلى جانب تاريخ العلوم وفلسفتها، لقد أوجد هذا العلم الجديد أسلوباً فعالا يهدف إلى تحليل أشكال الاتصال والتواصل بين العلماء والباحثين، وتحليل دور المعايير والقواعد المهنية، وان تأسيس اول مجلة متخصصة يعود الى مطلع السبعينيات من القرن العشرين وقد شهد التاريخ تطور مهما في تحليل شروط اشتغال التجربة العلمية و ولادة حقل علمي جديد ،فان علماء الاجتماع بتحليلهم المنشورات العلمية ،او في اكثر من الاحيان بدخولهم مختبرات البحث ،ساهموا مساهمة كبرى في اعناء معرفتنا للأوليات الاجتماعية و المعرفية التي تفعل فعلها في بلورة الابتكارات العلمية ونشرها [1].

ان علم اجتماع العلوم حتى لو انه قلب البعض في العقلانية الى النسبية فقد قدم تحليلات اقرب واكثر تنوعا الى الممارسة العلمية ،فهو يوضح للعالم ،لماذا لا يتساوى كل شيء حتى في غياب المعايير او غياب المنهج العالمي ،كما انه سيساعد اغلبية الباحثين الى مزيد من وضوح الرؤية ،فالعلوم والتقنيات تطرح

[1] ميشال دبو:مدخل الى علم اجتماع العلوم ،تر:سعود المولى ،بيروت :مركز دراسات الوحدة العربية ،ط1،2008،ص15

الكثير من المشاكل (الاخلاقية و السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية) والتي لن تكون للاسطورة العقلانية المزيفة ولا للنسبية الردكالية و المتشككة ارض خاصبة[1] .

ان علم اجتماع العلوم يقترح ان تنغمس دراسة العلوم و التقنيات في المجتمع فيحاول ان يلتقط الديناميكيات الاجتماعية التي تنشط الفاعلين العالميين حتى يتساءلوا حول الاجزاء الاكثر صلابة للنواة الصلبة للعلوم. تشكل علم اجتماع العلوم في علاقة حوارية مع انظمة اخرى لعلوم انسانية .

ان علوم و التقنيات يشكلان ظاهرة مذهلة وقد شهدا تطورا مهما خلال القرون الماضية ،كما انهما يشكلان معطيات كبيرة لمجتمعنا اليوم لم يكف الفلاسفة عن الانشغال بها حاولوا فهمها وشرحها من خلال فحص النظريات العلمية في الاساس. وقد حاول المؤرخون اعادة بناء تطور الافكار و الآلات ،وانكب الاقتصاديون على الابتكارات التكنولوجية وعلاقاتها بالديناميكية الاقتصادية اما علم الاجتماع فقد اقترحوا تحليلات تكميلية احيانا اخرى متناقضة مستخدمين التحليلات التي يقدمها الفلاسفة فبينهم الجدال مفتوح منذ عدة عقود

ان سوسيولوجيا العلوم مثلها مثل اي فرع معرفي ،تفرز خلال تطورها وعموما من خلال كتابات الفاعلين الرئيسيين فيها تصورات مختلفة حول تاريخها الخاص ومن بين هذه التصورات نجد :

1- ان سوسيولوجيا العلوم المسماة حديثة ترجع الى اعمال روبرت مرتون ضمنيا عام 1938م تم جهر بها علنا عام 1942م بعنوان البنية المعيارية للعلوم :فهم العلم باعتباره نشاطا اجتماعيا يستند الى جملة معايير مخصوصة تؤسسها باعتبارها نسقا متفرعا مستقلا في صلب المجتمع

2- ان سوسيولوجا العلوم شهدت ثورة مفاهمية في مطلع السبعنيات من القرن العشرين حين احلت محل دراسة العلم باعتباره مؤسسة و عالم متميز ومستقل من خلال دراسة البعد المعرفي للعلم من حيث محتويات المعرفة و الاثار الاجتماعية أي دراسة و فهم النواة الصلبة للعلم من خلال معطيات اجتماعية باعتبار أن مضمون العلم هو مرتبط بالبناء الاجتماعي و الثقافي و يتأثر به.

[1] دومنيك فينك:علم اجتماع العلوم ،تر:ماجدة اباظة ، المجلس الاعلى لثقافة ،2000 ،ص14

ان محاولات التي قامت خلال النصف الاول من القرن العشرين ،لتسليح علم اجتماع العلوم ببرنامج بحتي معمق كانت معزولة والتي كانت احيانا جماعية و احيانا اخرى فردية اي ان اربعا منها كانت على وجه التخصيص ذات دلالة بالنظر الى وضعية علم اجتماع العلوم[1] .

ان تصور موضوع علم اجتماع العلوم او تصور علم اجتماع جديد للعلوم يحمل في طيته اشكالية مزدوجة ذلك يجعلنا نفترض ان هذه المقاربة تمثل مجموعا متجانسا وانها تحتل محل مجموع اخر كان موجودا وكان ايضا متجانسا وهو امر خاطا في الحالتين ، ان مطلع السبعينيات يشكل بالفعل وقبل اي شيء اخر مرحلة تتويع في الفهم السوسيولوجي للعلوم كما انه يجعلنا ثانيا نظن ان النواة النظرية التي تستند اليها تلك الاعمال هي في الاساس جديدة و هذا الافتراض يحتاج الى تظهير الفروق الدقيقة بمقدار ما ان عددا من علماء لاجتماع المعاصرين حين لا يلتحقون بتوجهات التراث المرتوني فانهم يبدون طوعا املا وكأنهم يعيدون الربط مع منظورات بحثية كانت قد ابتدأت في الثلاثينات اي كأنهم يعيدون ادراج علم اجتماع العلوم ضمن اطار الميدان العام لعلم اجتماع المعرفة [2].

لذلك علم اجتماع العلوم كعلم اجتماع جديد ارتبط أكثر بما بعد ميرتون ، حينما تحول الاهتمام منذ السبعينيات صوب دراسة المضامين العلمية و علاقتها بالمعطيات الاجتماعية المؤثرة فيها بعدما سيطرت تحليلات ميرتون طيلة تلك الفترة السابقة ، و هنا برزت مدارس مثل adnbra . York. Bath متخصصة في علم اجتماع العلوم ، و التي لازالت لحد اليوم عاكفة على دراسة علاقة النواة الصلبة للعلم الطبيعي بالمؤثرات الاجتماعية ، واشتهر في هذا الاتجاه الجديد(هاري كولينز و بلور و بارنز و بينش و مولكاى) و غيرهم ، و لقد نوه السوسيولوجي المتخصص في علم اجتماع العلوم (دومينيك فينك) في كتابه عن علم اجتماع العلوم أن ما بين الاتجاه المرتوني و الاتجاه الجديد برز اتجاه وسط يرى تارة بأن المضمون العلمي (النواة الصّلبة) هو مستقل تماما عن المحيط الاجتماعي و تارة أخرى يراه مرتبط به و يتأثر به ،

[1] ميشال دبو :مدخل الى علم اجتماع العلوم،مرجع سابق ص28

[2] نفس المرجع ص68

و هو ما اتضح من خلال إسهامات (بيير بورديو) حول تراكم الرأس المال الرمزي و إسهامات (لاتور) حول تراكم المصداقية ، و اللذان يركزان على التبادل العلمي و المنافسة العلمية بين الباحثين و بين المنظمات العالمية للبحث العلمي ، خاصة و أن الظاهرة العلمية اليوم قد تعدت حدود الباحث في العمل العلمي إلى دول تتنافس فيما بينها بل و تتصارع من أجل كسب السبق العلمي و هو ما أدى بأقطاب مثل الولايات المتحدة و أوروبا و اليابان الى عقد علاقات بحثية في إطار التعاون و التبادل العلمي.. إن النظرة السوسيولوجية للعلم الطبيعي تنظر للعلم(الابتكار العلمي ، النظرية العلمية ، التقنية العلمية ..) على أنه (ذو نواة صلبة داخلية) تتمثل في مضمون العلم في حد ذاته أي ما تتضمنه الحقيقة العلمية من منهج خاص بها و مفاهيم و مصطلحات و إشكالية انطلقت منها وأهداف ترمي إليها و نتائج توصلت اليها ..، وهو أيضا (ذو هيكل اجتماعي خارجي) والمتمثل في مؤسسة العلم بما تحتويه من علماء و باحثين ومخابر البحث و تجهيزاتها والمصادر المادية و الظروف المحيطة الاجتماعية و الثقافية و العلاقات الاجتماعية بين الباحثين و بينهم و بين المراكز الحكومية و المعايير و القواعد و الاخلاق العلمية المتبعة داخل المؤسسة العلمية و ظروف و اسباب و نتائج المنافسة و الصراع العلميين ..الخ .

فعلم اجتماع العلوم (الجديد) إذن ، يهتم بالنواة الصلبة التي هي مضمون العلم و علاقتها بالمحيط الاجتماع و الثقافي الذي نشأت فيه[1] .

ومع ذلك يبدو مؤكدا ان علم اجتماع العلوم لم يتوصلوا حتى اليوم الى اقامة اجتماع عام حول ما يمكن ان تكون عليه الطريقة الافضل لتصور غايات التحليل السوسيولوجي و وسائله.

[1] لبنى لطفي :علم اجتماع العلوم علم اجتماع جديد، مقال تم نشره وتعديله بتاريخ 07 ديسمبر 2018 من موقع https://www.makalcloud.com/post/jwd3i9nyx تم تفحصه بتاريخ 02مارس 2022 على الساعة 16:00

ثانيا :علم اجتماع العلوم وعلم اجتماع التقنية :

يرجع علم اجتماع العلوم الى قرن مضى تقريبا وتضم العديد من الاعمال القيمة اما علم اجتماع التقنيات فانه متباين وقليل الهيكلة و قد ظهر منذ الثمانينات من القرن العشرين فالعلاقة بين هذين المجالين متقارب في بعض الاحيان ينتقل الباحثون من دراسة العلوم الى دراسة التقنيات وبالعكس :انتقل مكنزيMackenzie من دراسة الاحصاءات الى دراسة توجيه القذائف و انتقل لتور Latour من دراسة المقالات العلمية الى تصميم احدى الطائرات و انتقل كالونcallon من دراسة موصل الكهرباء الى دراسة اصداف سان جاك يعتبر علم اجتماع التقنيات علما متباينا يعكس علم اجتماع العلوم ويعتبر تطور هذا الاخير بسيطا نسبيا (علم اجتماع العلماء و علم اجتماع المعرفة العلمية و انثروبولوجيا المعامل وعلم اجتماع الترجمة و الشبكات الاجتماعية –التقنية) حتى لو كانت المدارس الفكرية مختلفة في نشاط و تنافس مستمر .

اما علم اجتماع التقنيات له جدور متعددة و فروع لا تتضافر مع بعضها البعض ،فاهتم بعض علماء الاجتماع بالتقنيات في اطار علم اجتماع صناعي و علم اجتماع العمل او علم اجتماع المنظمات ، واخرون اتوا عن طريق علم اجتماع العلوم ،ويأتي اخرون عن طريق حركات السبعينيات المرتبطة بالتقنيات و بالمجتمعات مثل حركة التي تعرف باسم Pug–Wash الخاصة بعلماء الفيزياء الذين تساءلوا حول امكانية المراقبة الاجتماعية على التكنولوجيات ،و اخيرا يأتي اخرون عن طريق علم اجتماع الحياة اليومية واستخدام الاشياء ومما سبق ذكره فان دراسة التقنيات يصبح احد مجالات البحث المستقلة كدراسات العلوم (تتضمن اساسا علماء الاجتماع و الاقتصاديين والمؤرخين والسياسيين)[1] .

[1]دومنيك فينك :علم اجتماع العلوم ،مرجع سابق ص(126–127)

المحاضرة التاسعة :علم اجتماع الفعل :يورغن هابرماس (تكامل نظريتي الفعل و النظم)

اولا :المنطلقات الفكرية لنظرية الفعل التواصلي عند هابرماس

ولد هابرماس عام 1929م ،هو فيلسوف الماني الذي يعتبر من ابرز المفكرين الالمان المعاصرين واخر اعلام المدرسة النقدية وارتبط اسمه بمدرسة فرانكفورت او النقدية الجديدة منذ ان عمل في المعهد عام 1956م و التي تتميز بدفاعها عن الفرد ضد كل سلطة ،وبدفاعها عن العقل ضد كل مظاهر اللاعقلانية التي سادت العالم الغربي في اواسط القرن العشرين ، اين تتلمذ على يد ادرنو ،ورغم انتمائه للمعهد الا انه يختلف عن سابقيه في المدرسة النقدية في تكوينه المعرفي و النظري و اتجاهاته الفلسفية ،فقد ففي زمنه تطورت اتجاهات فلسفية و أنثروبولوجيا و تاولية و لغاوية لم تكن قد توفرت لسابقيه في المعهد مما ادى الى اختلافه معهم بالإضافة الى اختلافه مع مفكري ما بعد الحداثة امثال فوكو[1].

يتضح اختلاف هابرماس عن سابقيه في المدرسة النقدية في ما تضمنه بحثه "نحو اعادة بناء النقدية التاريخية والذي ظهر في المجلد الثاني من كتابه نظرية للمجتمع عام 1975م ،يقول فيه بان تميز الانسان لا ينحصر في قدرته على انتاج و سائل مواده ،وانما يظهر هذا التميز ايضا من خلال قواعد الاتصال واستراتيجياته و الفعل الاتصالي ،وبهذا يرى هابرماس ان مسالة لا تنحصر في تحويل الموارد او توزيعها ، او في التنظيم العقلاني للوسائل و انما لابد من استكمال هذا الجانب باعتبار عمليات التفاعل و الاتصال و العلاقات التبادلية المرتبطة بالمصالح ، فتوزيع الانتاج يتطلب معايير معترف بها ذاتيا ،وترتبط هذه بقواعد الفعل الاتصالي ، كما كان هابرماس متأثرا بكتابات هيغل و ماكس ،مثل اعضاء اخرين في مدرسة فرانكفورت ،ولكن على خلاف ادنورنو و هوركهايمر ،فقد رفض هابرماس نظرية ماركس في القيمة ، وكذلك رفض التشاؤم الثقافي للجيل الاول في المدرسة فرانكفورت كما في حالة فيبر ،يعتقد هابرماس ان الجيل الاول قد اخطأ في الخلط بين عقلانية النظام و عقلانية الفعل وهذا يوازي خلط اخر :عدم القرن بين النظام

[1] بتصرف من جون ليشته، مرجع سابق، ص376 ؛ ابو النور حمدي ابو النور حسن :يورجين هابرماس/ الاخلاق و التواصل ،بيروت :التنوير للطباعة و النشر و التوزيع ،2012،ص6

و عالم الحياة و النتيجة كما يقول هابرماس هي ان النظام (مثلا الاقتصاد) يرى على انه يهيمن على المجتمع باسره على حساب ما يسميه هابرماس متبعا في ذلك خطى هوسرل و شوتز عالم الحياة و هو المحيط المباشر للفعل الاجتماعي الفرد"[1] .

يميز عمل هابرماس في الستينيات هو مناهضته للنزعة الوضعية في كتابات ماركس المتأخرة و سعى الى تحويل العمل المبكر الى نقطة انطلاق اكثر فعلية لنقد داخلي ذاتي متأصل للمجتمع الرأسمالي و ذلك بتأكيده على جانبه التأويلي ،وبالتالي فقد اسهم العلم في عقلانية التقنية التي مكنت الرأسمالية من تطوير اشكال للسلع اكثر تنوعا و تعقيدا بالإضافة الى الاسلحة المتطورة .

كما استهدف هابرماس ايضا بيان كيف ان الدولة الحديثة كانت نتاجا للنظرية الرأسمالية و ان الدولة لا تستطيع ان تحمي الناس من الازمات في الاقتصاد الرأسمالي لان قدرتها محدودة ،كان يقتضي وجود حد لشرعية الدولة وذلك لأنه كلما ازداد عجزها عن حماية الناس من الازمات الاقتصادية كلما قلت امكانية ضمان شرعيتها .

ثانيا : نظرية الفعل الاتصالي عند هابرماس

وجه هابرماس انتقادات صارمة للماركسية، فأعاد بناءها على أسس جديدة، وتسمى هذه المرحلة من مراحل مدرسة فرانكفورت بمرحلة ما بعد الماركسية .وقد بدأ مقالاته التي كتبها في الستينيات بتقويم الوضعية العلمية والمنطقية على غرار أسلافه من مفكري معهد فرانكفورت .وقد ميز بين ثلاثة أنواع من المعرفة انطلاقا من منظور المصلحة التي تحققها للجنس البشري، في كتابه(المعرفة والمصالح البشرية)(1984 م)، وقد حصرها في مصلحة تقنية، ومصلحة عملية، ومصلحة تحررية.

وقد اعتبر هابرماس النموذج النفسي الفرويدي أداة صالحة للنظرية النقدية لتحقيق الثورة التحريرية الانسانية المجتمعية .وقد أكد هابرماس أسبقية اللغة على العمل، وأكد أيضا ترابط اللغة والعمل الاجتماعي، حيث من

[1] عسى عثمان، مرجع سابق، ص(195-196)

الصعب فصل عنصر على آخر، وخالف بذلك رأي ماركس الذي كان يعتبر العمل هو الذي يخلق الإنسان . ويعتبر هابرماس اللغة هي التي تحقق الاستقلال الذاتي والمسؤولية .وهكذا يكون هابرماس قد انتقل من نظرية المصالح المعرفية إلى نظرية اللغة والاتصال[1]..ففي كتابه "نظرية الفعل التواصلي " (1984-1987)الذي يسميه "نظرية التواصل "يعيد طرح اشكالية العقلانية الحديثة و بإسقاطاتها المتعددة وهذا ما عبر عنه في التمهيد الخاص بالجزء الاول حين يقول "على الرغم مما يوحي به العنوان فانا واع من انني لم اقدم نظرية مكتملة ومن خلال هذين الجزأين مع ذلك سأسعى الى تثبيت العنصر النظري الضروري لكل فلسفة ملزمة ببلورة فهم خاص بها يتجاوز الفهم الميتافزيقي اذا ما رغبت في اقامة روبط تعاون مع العلوم الاجتماعية بالاستناد الى قاعدة تقسيم العمل فان الرهان بالنسبة لي يتلخص في تأسيس مشروع قد يتفرع في اتجاهات متعددة اذا ما قبلنا النظر اليه نظرة واعدة "[2].

فتوجه هابرماس في أعماله وبخاصة في " **نظرية فعل التواصلي** " إلى فلسفة اللغة ابتغاء توسيع أساس النظرية النقدية وقد قدم أطروحة صعبة سنجملها في مراحل ثلاث:

1. يدعو إلى ضرورة التحرر مما يدعوه بـ " فلسفة الوعي " التي يعني بها الفلسفة التي ترى العلاقة بين اللغة والفعل كالعلاقة بين الذات والموضوع (أي التحرر من منظومة الفكر التجريبي).

2. يمكن أن يتخذ الفعل صورتين، الفعل الاستراتيجي وفعل التواصلي. الأول يتضمن الفعل الغائي العقلاني، في حين أن فعل التواصل هو ذلك الفعل الذي يرمي للوصول إلى الفهم.

3. يترتب على فعل التواصل الأولية عدة أمور: أولا، العقلانية التي تستلزم نسقا اجتماعيا ديمقراطيا لا يستبعد أحدا. ثانيا: ثمة نظام أخلاقي ضمني يحاول هابرماس الكشف عنه، وهو الأخلاق الكلية الذي

[1] جميل حمداوي: نظرية علم الاجتماع ،مرجع سابق ،ص138

[2] ابو النور حمدي ابو النور حسن :يورجين هابرماس/ الاخلاق و التواصل ،مرجع سابق ،ص136

لا يتوجه إلى تحليل مضمون المعايير بقدر توجهه إلى طريقة التوصل إليها، والتوصل إليها –حسب هابرماس– يكون عبر نقاش حر عقلاني.

و تعتمد نظرية هابرماس في تناوله للعقلانية و عمليات التحديث على الجمع بين الجانبين العلمي و الاتصال التفاعلي و تقوم نظرية الفعل الاتصالي على اساس افتراض الاتصال و التفاعل بين ذاتي الرمزي عامة و اللغوي خاصة فقد توصل اعتمادا على الفلسفة التاولية و التحليل اللغوي الى ان الناس يتوحدون جماعيا بالفهم المشترك للرمز واللغة و ان الانسان يتميز عن الكائنات الاخرى اضافة الى قدرته العملية و بهذا فان انتاج الحياة الانسانية و تطورها يعتمد الى جانب الشق الانتاجي على الجانب الاتصالي و الفهم المتبادل و المشترك للغة[1] .

المحاضرة العاشرة : علم اجتماع الجسد

ان علم اجتماع الجسد لا يمثل حتى الوقت الراهن نظرية سوسيولوجية متكاملة ،بل هو عبارة عن اطروحات ومقولات مبنية على منظورات مختلفة تعيد الاعتبار للجسد الانساني في عملية التنظير ،انطلاقا من اهميته في الحياة الاجتماعية و تفاعله مع مكونات الاجتماعية و الثقافية للحياة الاجتماعية .

و من هنا سنتطرق فيما يلي الى مفهوم ومراحل التي سجلتها العلوم الاجتماعية في الاقتراب النظري للجسد مع اهم مفاهيم المستخدمة.

[1] عسى عثمان :النظرية المعاصرة في علم الاجتماع مرجع سابق ،ص199

اولا : مفهوم سوسيولوجيا الجسد

تعد سوسيولوجيا الجسد من الميادين الحديثة نسبيا في السوسيولوجيا و العلوم الاجتماعية اذ يحاول هذا الميدان معرفة العلاقة بين الجسد و مؤثرات المجتمع و عوامله المختلفة[1] ، كما ان السوسيولوجيا المطبقة على الجسد تركز على نتيجة الفعل اكثر مما تهتم بتوضيح الجسد في تحققه ،وهذا لكون الجسد مادة اساسية للبحث السوسيولوجي وسبب وجود الكثير من الفروع التي تقوم العلوم بتناولها مثل تاريخ ،اثنولوجيا ،سيكولوجيا، طب ،علوم الرياضة ،سوسيولوجيا ،انثروبولوجيا ....لخ وعلى مستوى اخر تعتبر سوسيولوجيا الجسد فصلا من السوسيولوجيا المختصة بفهم الجسدية الانسانية كظاهرة مجتمعية و ثقافية مادة للرمز وموضوعا للتمثلات و المخيال[2] ،حيث يشتغل الجسد مكانا في الخيال السوسيولوجي لان خبرتنا به وترويضنا اياه يشكلان جزءا من المادة العامة التي تتشكل منها الحياة الاجتماعية و النظرية الاجتماعية ، هكذا تشكل خبرتنا بالجسدية اساسيا لتنظير الجماعة الاجتماعية ،والاجحاف الاجتماعي و تكوين الاختلاف مما يجعل الكائنات البشرية تحوز القدرة على الاتصال مع بعضنا البعض و تختبر حاجات و رغبات وحالات رضا و احباط مشتركة [3] .

بهذا الجسد موجه لفهم العلاقات بالعالم و الانسان اذ عبره يمتلك الفرد مادة وجوده حسب وضعه الاجتماعي و الثقافي ، سنه ،جنسه ،شخصيته في عيون الاخرين [4]، فهو من المواضيع التي نالت اهتمام الباحثين والمفكرين في الآونة الأخيرة، فهو مرآة المجتمع الذي اعتبره الباحثون من جهة كالرمز الناقل لثقافة المجتمع الذي نشأ فيه. ومن خلال الوجود الجسدي وطرح الصور التي تتكلم عمقه المسكوت عنه والقيم التي يحملها وتميزه والمتغيرات التي يمر بها، ومكوناته، وتعابيره، ورموزه... كل هذه المجالات هي التي تعطيه معنى وقيمه ومن هنا أصبح للجسد دلالة رمزيه وثقافيه وله معنى بكل أوضاعه الاجتماعية والثقافية المختلفة من

[1] مازن مرسول محمد :حفريات في الجسد المقموع مقاربة سوسيولوجية ثقافية ،لبنان :مكتبة التنوير ،ط1 ،2015 ،ص16

[2] دافيد لوبروتون : سوسيولوجيا الجسد ،تر: عياد ابلال ،ادريس المحمدي ،القاهرة :روافد للنشر والتوزيع ،ط1، 2014،ص 19

[3] كرس شلنج : الجسد والنظرية الاجتماعية ،تر: منى البحر ،نجيب الحصادي ، الامارات العربية المتحدة :دار العين للنشر ،ط1 ،2009،ص45

[4] دافيد لوبروتون، مرجع سابق، ص9

خلال ممارساته، وطقوسه، ومرجعياته، وثقافته التي نشأ فيها. فهو البناء الرمزي و منشأ للعديد من التصورات التي تسعى لإعطائه معنى. فهو نتيجة بناء اجتماعي ثقافي.

من جهة اخرى استخدمه الباحثون لتحديد العلاقات الاجتماعية و هوية الجماعة ، فالذات الفاعلة في المجتمع هي روح و جسد متكاملين إذ لا يمكن تفسير الظواهر الاجتماعية دون الالتفات الى ما يمكن أن يلعبه الجسد من دور حاسم في صياغة أنماط الفعل الاجتماعي ، كما أن الجسد على حد تعبير عالم الاجتماع الفرنسي بيير بورديو هو تشيئ لذوق الطبقة دون أدنى شك ! و هو الهابيتوس الجسداني [1]، فللجسد استعمالات اجتماعية من خلاله نعبر عن ثقافة و معتقدات الشريحة أو الطبقة التي ننتمي إليها ، كما اعلن جون بوديار "ان الجسد اجمل مواضيع استهلاكنا ،ولهذا ارتبط اقتصاد المعاصر بالجسد(مثلا الموضة)، بقدر ما يصبح الجسد موضوع استهلاك للعامة ،اذ يستخدم الجسد في سياقات المركز و النفوذ والسلطة والسياسة والاقتصاد والرياضة والفنون ،حيث يبرز الجسد كحضور مادي ،و من ثم يتبعه الحضور المعنوي لذات الشخص ،لقد بات الجسد بعد انتهاء القرن العشرين مفتاحا مهما يتخلل الكثير من العلاقات السياسية و الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية ،و في الطب و العمل و الاستهلاك و العمل الادبي[2] .

حيث يشير بيرلوبونتي ان الاسباب الرئيسية لأهمية الجسد مفاده ان القدرات الحسية ،والخبرات وترويض الاجساد ،ليست اساسية فحسب لممارسة الفعل البشري وقيوده ،بل ايضا لتشكيل نظم اجتماعية والحفاظ عليها الحال ان الظروف الجسدية هذه هي التي وفرت حافزا فعالا للأعمال السوسيولوجية [3].

لذا فموضوع الجسد بات اليوم من الضرورات الملحة التي ينبغي ان لا يقتصر الاهتمام فيها في مجال الصحة و البيولوجيا وانما قراءتها سوسيولوجيا او أنثروبولوجيا ووفق الكثير من العلوم ،لمعرفة اصول وقواعد القوالب الجسدية التي تنشا في المجتمعات ،و طبيعة العلاقة بين تغيرات الجسد و تغيرات المجتمع .

---

[1] نفس المرجع ، ص154

[2] مازن مرسول محمد ،مرجع سابق ،ص(25-26)

[3] كرس شلنج ،مرجع سابق ،ص45

وعلى هذا الاساس تعتبر سوسيولوجيا الجسد فصلا من السوسيولوجيا المختصة بفهم الجسدية الإنسانية كظاهرة مجتمعية وثقافية، مادة للرمز وموضوعا للتمثلات حيث أن الجسد الذي صنعه السياق الاجتماعي والثقافي الذي يخوض فيه الفاعل هو إلا ذلك الجانب الدلالي الذي من خلاله تتجلى واقعية علاقته بالعالم الخارجي والمكونة من الأنشطة الإدراكية والتعبير عن المشاعر، والخضوع لطقوس التفاعل مع الآخر على مستوى الحركيات والإيماءات وصيانة المظهر التفاعلات الحميمية والتقنيات الجسدية وصيانة الجسم والعلاقة بالألم... إلخ، إذن فالتواجد هو أولا جسدي[1] ، حتى وان اختلفت الثقافات والخبرات في ظل التغيرات الاجتماعية .

ثانيا : المسار التاريخي للجسد كموضوع سوسيولوجي

في ضوء ما هو متوفر من معلومات ،يظهر لنا أن الاهتمام السوسيولوجي بالجسد يعد أمرا حديثا نسبيا؛ فالجسد لطالما كان فاعلا في الحضارات القديمة ، و عبر التاريخ لعب الجسد دورا حاسما في صنعه ، إلا أن الجديد في علم اجتماع الجسد هو إعطائه قدرا هاما و مكانة أساسية في الدراسة و التحليل ،ففي الفكر الغربي لم يكن الجسد كموضوع معرفة سوسيولوجية يحظى بمكانة «الموضوع المحوري أو الأساسي» حتى حدود الستينات من القرن الماضي، بل على العكس من ذلك كان حضوره، لا يتجاوز مستوى الحضور المضمر الافتراضي، أو مستوى محور من ضمن المحاور المدروسة، أو كما يقول عالم الاجتماع الفرنسي «جون ميشيل بيرتلو Jean M. Berthelot » كان الجسد مادة سوسيولوجية ذات خسوفات[2].

لقد كان الجسد غائبا بمعنى ان علم الاجتماع نادرا ما ركز بطريقة ثابتة على الكائن البشري الجسدي على اعتبار انه يحوز اهمية بذاته و المنظرين لم يفهموا الجسد على اعتبار انه اساسي للفعل البشري و المشروع

[1] دافيد لوبروتون ، مرجع سابق ،ص16

[2] مازن مرسول محمد ،مرجع سابق ،ص19

السوسيولوجي الا حين شرع علم الاجتماع في التشكيك في التمييز بين الطبيعي و الاجتماعي ،على ذلك يمكن ان نجادل ايضا بان الجسد كان حاضرا في صميم الخيال السوسيولوجي[1] ....

والواقع أن هناك عوامل معقدة ومتراكمة أسهمت في غياب الجسد عن الوعي السوسيولوجي والاجتماعي بشكل عام، ربما ترتبط أولى هذه العوامل بذلك التقسيم التقليدي «التاريخي» بين العلوم البيولوجية والعلوم الاجتماعية، فذلك التقسيم كان بمثابة عقبة كبيرة أمام مشروع تنظير الجسد في الحياة الاجتماعية.

فقد حدد براين ترنر اربعة اسباب لإخفاق علم الاجتماع الكلاسيكي في انتاج صريح في الجسد وهي اسباب قد تتعلق جميعها بمشروع هذا الفرع المعرفي الذي اضطلع به الاباء المؤسسون :

اولا :لم يكن بعض علماء الاجتماع من امثال دوركايم وفيبر ،سميل، مانهيام منشغلين بوجه عام بتطور الكائنات البشرية التاريخي ،بل بأوجه التشابه بين المجتمعات الرأسمالية الصناعية وبكيفية اختلافها عن المجتمعات التقليدية .

ثانيا :نزع علم الاجتماع الى تركيز على الظروف التي يشترطها النظام او الضبط او التغير الاجتماعي في المجتمع لقد اثارت درجة تركيب الرأسمالية الصناعية اهتماما واسعا بتحقيقها وظائفها التي ركزت على المجتمع بوصفه نظاما اجتماعيا ،وكما تبين اعمال سميل وفيبر ،فان هذا لا يستبعد الانشغال بالأفراد .

ثالثا تمت مماهات القدرات المشترطة للفعل الانساني بالوعي والعقل بدلا من ترويض الجسد ككل ،يتضح هذا في طبولوجيا فيبر للفعل الاجتماعي ،التي ربطت الفعل الانساني بالفعل العقلاني المعالج ذهنيا .

رابعا ثمة نتيجة نظرية لهذه الالتزامات الأبستمولوجيا و الانطولوجية تعينت في ان علم الاجتماع لم يبد اهتماما كبيرا بالرؤية الأنثروبولوجية في الجسد كنظام تصنيفي لقد اعتبر العقل عوضا عن الجسد مستقبل

[1] كرس شلنج ، مرجع سابق،ص17

ومنظم تصورات تتعلق وتركن الى الطبقات الاجتماعية ،وكما يلحظ ترنر تتضح هذه المقاربة في صورها الثابتة في التركيز الماركسي على الايديولوجيا و الوعي الزائف و التشيؤ [1].

مع ذلك يمكن تحديد مسار التاريخي الذي قطعه التفكير في الجسد كمعرفة سوسيولوجيا منذ اللحظات الاولى للعلوم الاجتماعية الى مقاربة نظرية تمت في مرحلتين كالتالي :

- الجسد في النظرية الاجتماعية الكلاسكية :

ركز علم اجتماع الكلاسيكي جل اهتمامه على فهم الحياة الاجتماعية ونظمها ومشكلاتها وتمركزت المشاريع السوسيولوجية خلال القرن التاسع عشر حول البنى الاجتماعية والرمزية والافعال الاجتماعية وعلى هذا الاساس تم النظر الى الجسد باعتباره ظاهرة طبيعية قبل الاجتماعية وظل الاهتمام بالجسد ضمنيا بدلا من ان يكون صريحا

فحاولوا معالجة وضعية الفاعل بمختلف مكونته ،حيث اذابت خصوصية الجسد في التحليل كما تم التركيز على جوانب منتقاة من الجسدية البشرية دون اخرى من قبيل مثلا تركيزه على قضايا اللغة و الوعي دون ربط بينهما و بين الجسد بحد ذاته، حيث كان الاهتمام بجسد العمال وما يعيشونه في ظل ظروف العمل القاسية من استنزاف مبكر واعطاب وتشوهات، وكذلك نقاشا مهما حول السكان وتنظيم الولادات، ولفت الانتباه إلى أن قضايا الصحة والنسل والجنس مسئولية اجتماعية وليست مسائل تهم الفرد فقط، والملاحظ أنه على الرغم من أن الجسد ضمن الدراسات المشار إليها آنفا قد أصبح ضمنيا معطى ثقافيا، إلا أن الاهتمام به لم يكن قد وصل إلى مرحلة يشكل فيها موضوعا لدراسة مستقلة.

كما نجد علماء الاجتماع قد فتحو افاقا واعدة ومهمة تمنح عناصر تحليلية قوية ذات صلة بالجسد ، وساهموا بآراء حاسمة في هذا الاتجاه بالرغم من القطيعة التي احدثها اميل دوركايم من خلال تميزه بين

[1] مازن مرسول محمد ،مرجع سابق ،ص ص(18-19)

الجسدية والعضوانية ،متحديا من ثم كل ادعاء للعلوم الاجتماعية لتنكب عليها 1 ،وذلك من خلال مجموعة دراسات متفرقة تنطلق من افتراض أساس هو أن الإنسان يصنع وينتج خصائص جسده اجتماعيا من خلال اندماجه مع الآخرين، وانخراطه في مجال الرمزي.

من أهم دراسات هذه الفترة ما كتبه «جورج سيمل» (1858– 1918) الذي كان أول من عرف كيف يعطي وصفاً ثمينا للمكانة البارزة للجسد في الحياة اليومية، ففي بحثه حول علم اجتماع الحواس Sociology of sense (1911) يلاحظ أن الإدراكات الحسية – بما لها من سمات– تشكل أساس الحياة الاجتماعية، ويمتزج الإدراك الحسي للعالم بنزعة عاطفية، ويحلل «سيمل» النظرة Glance تحليلا عميقا، إنه يرى أن التعاطف أو النفور، الثقة أو عدم الثقة هي أمور تسمح ظاهرياً بأن تقرأ من خلال النظرة، يقول سيمل «من خلال عينيه أستطيع أن أنتزع من ذلك الذي ينظر إليّ شيئاً قليلاً من إمكانية اكتشافي». إن النظرة بالفعل تكتسح وجه الآخر، وتجبره على عقد اتفاق في آن واحد حول الألفة وحول المتعة التي يحصل عليها من التبادل[2].

ومن الإسهامات الهامة في تلك المرحلة البحث الذي كتبه «روبرت هرتز (1881– 1915) R. Hertz في عام 1909 بعنوان «تفوق اليد اليمنى Preeminence of the right hand «الذي أثر تأثيرا بالغا في تطور النظريات الأنثروبولوجية المتعلقة بالتقابل الثنائي، خاصة ذلك التقابل بين اليمين واليسار. لقد أوضح «هرتز» الذي كان أحد تلاميذ دوركايم أن التفضيل الفسيولوجي للجانب الأيمن من الجسد مؤسس ثقافيا على التصنيف الأخلاقي للخير والشر، بحيث يصبح الجانب الأيمن رمزا مركزيا للقيم الإنسانية الايجابية.

[1] دافيد لوبروتون ،مرجع سابق،ص26

[2] كرس شلنج ،مرجع سابق،ص37

لقد أوضح «هرتز» أن الميل الفسيولوجي نحو تفوق اليد اليمنى هو فقط «ادعاء Pretend «لغرض التصنيف، وفقا لوجهة نظره، يعد تفوق اليد اليمنى نظاما اجتماعيا أو بتعبير «دوركايم» ظاهرة اجتماعية، فاستخدام اليد اليمنى يلاقي جزاء ايجابيا من المجتمع، والانحراف عن اليمين غالبا ما يلاقي عقابا اجتماعيا[1] وتمثل كتابات «جورج هربرت ميد» (1863– 1931) إحدى الإرهاصات المبكرة في سوسيولوجيا الجسد، ففي تحليله للسلوك الاجتماعي وتطور الذات، يرى أن الإيماءات Gestures تمثل أمرا مهما في تشكيل الذات اجتماعياً، فالوجه واليد كلاهما أساسيان في عملية تبادل الإيماءات، فوفقا له، يتوازى الكلام مع اليد في تطور الكائن الإنساني اجتماعيا، وأوضح «ميد» في كتابه «العقل والذات والمجتمع Mind, self and society الذي نشر بعد وفاته في عام 1934 أن اليد أداة مهمة تلعب دورا رئيسيا في التفكير، إنها سمة جوهرية للعقلانية الاداتية Instrumental rationality وتؤدي دورا مهما في القدرة الإنسانية على التعاطف، وتخيل أداء الدور، ومن ثم في تأسيس وتطور السلوك الاجتماعي، والواقع أن مناقشة «ميد» لأهمية اليد في علاقتها بالجهاز العصبي المركزي والتفكير الإبداعي قد تم إهمالها في الدراسات التالية للتفاعليين الرمزيين رغم أهميتها[2].

وقدم «مارسيل موس» (1872– 1950 M. Mauss (إسهاما مهما في اتجاه تطوير سوسيولوجيا الجسد يتمثل في مساهمات مهمة حول التعبير القسري للمشاعر(1921) وحول التأثير الفيزيقي لفكرة الموت (1927)، «تقنيات الجسد Techniques of the body «التي قدمت كمحاضرة في اجتماع جمعية علم النفس في باريس في عام 1934 ثم نشرت في مجلة علم النفس والباثولوجيا في عام 1935، وظهرت ترجمتها الإنجليزية في عام 1973، وقد أوضح «موس» في هذه الدراسة الموجزة التي لم تتعد تسع عشرة صفحة كيف يؤثر المجتمع على الممارسات الجسدية(Lyon 1997: 85) .

---

[1] نفس المرجع ، ص38–39

[2] حسني إبراهيم عبد العظيم: موجز تاريخ سوسيولوجيا الجسد من موقع https://adhwaa.net ثم تصفحه يوم 2021/04/12 على الساعة 20:00

لقد بين «موس» أن الجوانب الأساسية للأنشطة الجسدية كالمشي والوقوف والجلوس هي «بني اجتماعية» فمع أن هذه الأنشطة تستلزم أساسا عضويا، إلا أن إتقان هذه القدرات يستلزم سياقا ثقافيا، إن آليات الجسد أو تقنياته رغم اعتمادها على أساس عضوي عام، إلا أنها في ذات الوقت تمثل تطورات ثقافية وشخصية[1].

ولقد تزامن مع دراسة «موس» ظهور كتاب هام ألفه «بول شيلدر (1886- 1940) P. Schilder بعنوان صورة ومظهر الجسد الإنساني The image and appearance of the human body عام 1935 وردت فيه صراحة عبارة «سوسيولوجيا الجسد» فقد قسم كتابه إلى ثلاثة أجزاء، الأول عنوانه الأساس الفسيولوجي لصورة الجسد، الثاني البنية الشهوانيةLibidinous structure ، والثالث حمل عنوان سوسيولوجيا صورة الجسد Sociology of the body image وقد حاول «شيلدر» في ذلك الجزء الأخير أن يوضح السمة الاجتماعية لصورة الجسد، إذ أكد على أن صورة الجسد هي صورة اجتماعية بالضرورة، وإن كل جوانب صورة الجسد تتشكل وتتطور من خلال العلاقات الاجتماعية، كتب شيلدر «صورة الجسد هي مبدأ اجتماعي، إن صورة أجسادنا ليست منفصلة على الإطلاق عن صورة أجساد الآخرين، ولكنها مقترنة بها دائما[2].

اما حضارة الاخلاق في نسختها الاولى(1939) فقد منحنا نوربرت الياس في المنيا محاولة كلاسيكية للسوسيولوجيا التاريخية التي اشارت الى جنيا لوجيا المظاهر الخارجية للجسد ،مذكرا بالمناسبة الخاصية الاجتماعية و الثقافية للعديد من الممارسات و المسارات الاكثر اعتيادية و الاكثر حميمية للحياة اليومية ، بيد ان هذا النوع من السوسيولوجيا توقف مع مجيء اعمال كوفان رغم انه زودها بالمادة الاولية من خلال كشفه للخلفية الخفية لمعنى ومحتوى طقوس تفاعلاتنا[3] .

[1]كرس شلنج :الجسد والنظرية الاجتماعية ،مرجع سابق،ص40

[2]حسني إبراهيم عبد العظيم: موجز تاريخ سوسيولوجيا الجسد ،مرجع سابق

[3]شلنج :الجسد والنظرية الاجتماعية ،مرجع سابق،ص41

- الجسد في النظرية الاجتماعية المعاصرة :

تعالج النظرية الاجتماعية المعاصرة بشكل خاص الجسد من خلال توضيحها للثوابت الاجتماعية و الثقافية المنطقية التي تنتشر عبره وذلك من خلال مجموعة من الدراسات استخدمت الجسد كأداة كشف وتحليل، تتعامل معه كنافذة ينظر من خلالها للمؤسسات والبنى والعلاقات الاجتماعية، وتقرأ المخيلات والتمثلات الجماعية، من خلال اشكال مختلفة من الخطاب الديني والاخلاقي و الطبي ،وبالتالي وجود اتجاه واضح لتدشين سوسيولوجيا الجسد كأحد فروع علم الاجتماع.

من أهم دراسات هذه المرحلة، أعمال «إرفنج جوفمان» (1922- 1982)، و«ماري دوجلاس» (1921- 2007)، التي شغلت حقبة الستينات، (وأيضا أعمال ميرلو- بونتي التي ترجمت في تلك الفترة) ثم إسهامات «ميشيل فوكو» التي امتدت حتى منتصف الثمانينات تقريباً (توفي فوكو في يونيو 1984)، و«بيير بورديو» التي امتدت حتى بداية القرن الحادي والعشرين (رحل بورديو عن عالمنا في يناير 2002).

يرى (تيرنر) أن جوفمان Goffman يعد واحدا من رواد سوسيولوجيا الجسد، فهو أحد القلائل في نطاق علم الاجتماع الذي أخذ مسألة الطبيعة الاجتماعية للجسد مأخذ الجد في وقت مبكر. فمن خلال دراسته حول عرض الذات في الحياة اليومية The presentation of self in everyday life 1962 طرح فكرة أن الحياة الاجتماعية تعرض –جزئيا على الأقل – من خلال الجسد، فعلى سبيل المثال، إن الإحساس بالارتباك يرتبط دائماً بالتغير في لون الوجه، وبمعنى أوسع، إن فكرتنا الاجتماعية حول اليسر أو الراحة يتم التعبير عنها من خلال إيماءات جسدية متنوعة يمكن قراءتها كشكل من اللغة.

وقدمت «ماري دوجلاس M. Douglas «فهماً مفصلياً مهماً لقضية الجسد «كنسق رمزي» وذلك من خلال كتابيها «الطهارة والخطر» عام Purity and danger 1966 والرموز الطبيعية Natural symbols عام 1973، ترى «دوجلاس» أن الجسد هو تمثيل مجازي Metaphor للمجتمع ككل، ويعني ذلك تبعا أن المرض في الجسد يناظر رمزياً الاضطراب في المجتمع، واتزان الجسد واستقراره مؤشر على التنظيم الاجتماعي وسلامة العلاقات الاجتماعية، إن انشغالنا بالمخاطرة واللايقين في العلاقات الاجتماعية يمكن أن

يفهم من خلال نظريات النظام الجسدي. إن مفاهيم الطهارة والنظام، النجاسة، والقداسة لا توجد في جوهر الظواهر أو الممارسات، وإنما في علاقتها بإدراكنا لواقعنا الاجتماعي. إن الأمر «الدنس» إذاً هو اضطراب أو خلل في العلاقات التصنيفية. والواقع أن أفكار «دوجلاس» لم تكن مؤثرة فقط في الأنثروبولوجيا، وإنما أيضاً كانت مؤثرة في علم الاجتماع، حيث تم تبنيها وتطويرها بطرق مختلفة.

أما «ميشيل فوكو» (1926–1984) أحد مؤسسي سوسيولوجيا الجسد، وربما المؤسس الأهم لذلك الفرع المعرفي الهام، فقد أعاد الجسد مرة أخرى إلى قلب علم الاجتماع Brought the body back into sociologyبعد أن أطاح به «ديكارت» منذ القرن السابع عشر خارج دائرة اهتمام العلوم الإنسانية والفلسفة. وطور بيير بورديو بشكل ضمني سوسيولوجيا الجسد كجزء من انشغاله العام بنظرية الممارسة، وكشف في كتاباته المتعددة عن التمثيل الرمزي Symbolic representation للجسد، وعن أهمية التذوق Taste والترتيبات الجسدية الأخرى كعناصر مهمة في رأس المال الثقافي، وتناول كذلك الجسد باعتباره حاملا ومؤشرا على التمايزات الطبقية ،على الرغم من أن انشغاله بالجسد لم يكن مباشرا، إلا أن سوسيولوجيا بورديو تمثل نموذجا للدراسات التي يحتل فيها الجسد مساحة مهمة، وخاصة منذ أبحاثه الاثنوجرافية المبكرة في منطقة القبائل بالجزائر الحاضرة في أهم مؤلفاته[1] .

_ اما في **عشرينيات** القرن الماضي دخل موضوع الجسد ضمن منظومة اهتمامات و انشغالات عصر الحداثة المتأخرة (ما بعد الحداثة) أو العالية كما يصفها عالم الاجتماع الانجليزي أنتوني جيدنز ، خاصة أن هذا العصر يشهد تحولات على المستوى الجسداني كانتشار السيدا و تنامي الشذوذ و تطور التكنولوجيا الحيوية خاصة فيما يتعلق بمسائل إستئجار الرحم أو التلقيح الاصطناعي أو زرع الاعضاء ، الحميات و عمليات التجميل ...الخ ، كل ذلك يمثل ظواهر جسدانية ذات دلالات سوسيولوجية فمثلا اذا ما ضربنا مثلا بالجسد قبل و بعد عملية التجميل فسنجد أن الجسد بعد التجميل قد تدخل بشكل مباشر

[1] حسني إبراهيم عبد العظيم ،مرجع سابق

في نسج علاقات اجتماعية واسعة كالصداقات ، الزواج .. بعدما كان قبل التجميل سببا في محدودية علاقات صاحبه أو حتى عزلته عن الناس ، ما أود قوله هو أن فيزيولوجيا الوجه و الجسد عموما لها وقعها الاجتماعي دون ريب ، و في سوسيولوجيا الجسد نحن نتحدث عن الجسد البيولوجي و الفيزيولوجي كفاعل اجتماعي يعمل على إنتاج و إعادة إنتاج المنظومة المجتمعية .

و لعل أن الحديث عن قضايا ما بعد الحداثة المتعلقة باهتمامات علم اجتماع الجسد يضطرنا إلى أن نلج موضوع الجنس الثالث من باب الجندرية ، فهو موضوع بدأ يكسر الطابوهات السوسيولوجية ليطرح نفسه مادة جديدة للبحث و التفسير ، و ضمنه سنجد أن الجسد يتموقع موقع الصدارة ليخط لنا فجًّا لفهم الظاهرة ، بمعنى أن جماعة الشواذ جنسيا يتخذون من الجسد منطلقا لهم للتعبير عن ذواتهم و هويتهم كثقب الأذن و لبس القرط و الاعتناء بالأظافر و الرموش و غيرها من المظاهر الجسدانية الأخرى ، هذا من جهة و من جهة ثانية هم يحددون علاقاتهم الاجتماعية بناء على الجسد فتجد هؤلاء يكونون جماعات و ينشئون علاقات مع من هم بنفس مواصفات أجسادهم ، إذن الجسد هنا هو الفاعل و المحدد للعلاقات الاجتماعية ، تماما كما عند جماعة عبدة الشيطان اللذين يتخذون من أجسادهم لوحة تعبيرية عن هوياتهم فينحتون الرسوم عليها عن طريق التاتو (الوشم) فيوصمون في المجتمع بوصمة تجعلهم غير مرغوب فيهم اجتماعيا تماما كما الشواذ أو الهيبيز اللذين ظهروا في أمريكا ستينيات القرن الماضي ، و هو الأمر الذي ينأى بهم الى تكوين نسيج من العلاقات الاجتماعية يكون فيها الجسد هو المحدد الحقيقي للفعل الاجتماعي ! و هنا يتضح جليا قوة سوسيولوجيا الجسد في التحليل الجسداني [1].

وعلى غرار المسار التاريخي للجسد ثمة هناك اربع عوامل اجتماعية شكلت سياق الظهور المتأخر نسبيا للجسد في علم الاجتماع :نمو الحركات النسوية (الموجة الثانية) ؛التغيرات السكانية التي لفتت الانتباه الى

[1] لبنى لطيف: علم اجتماع الجسد علم اجتماع الجديد نحو الجسدانية من موقع https://www.makalcloud.com/post/67p31j520 ثم تصفحه 2021/04/26 على الساعة 22:00

حاجات كبار السن في المجتمعات الغربية ؛ظهور ثقافة المستهلك المرتبطة بتغير بنية الراسمالية الحديثة ؛ والازمة المتزايدة في معرفة ماهية الجسد1 ،فتنوع تلك العوامل يساعد على فهم علة عدم احراز تقدم في المقاربات المشتركة للجسد في المجتمع مع عدم توحد وتنوع الدراسات التي اجريت على الجسد والجسدية .

ثالثا : مفاهيم علم اجتماع الجسد

هناك العديد من المفاهيم المستعملة في سوسيولوجيا الجسد اهما :

صورة الجسد: هي صورة الذات التي تتغذى بالمواد الرمزية التي تموضع الشخص في اطار نسيج من التطابق التعالقي ،فالجسد يمكن تمييزه عن الشخص ،و نفس المواد الاولية التي تدخل في تكوينه ،تدخل في الصيغة التي تحيط به [2] ، كما تعني إدراك الفرد لجمالية وجاذبية جسده، وكيف ينظر له الناس في مجتمعه، لعل أول صياغة لذا المصطلح كانت من قبل دكتور الأعصاب النمساوي بول شيلدر (Paul Schilder) في كتابه (The Image and Appearance of the Human Body) عام 1935، حيث أكد فيه أن المجتمع لديه قيمة كبيرة لجمال الجسم البشري، وفي كثير من الأحيان قد لا تتوافق معايير الجمال لدى الفرد مع معايير مجتمعه ، ويحدد العلماء معايير اخرى تتجاوز حدود الذاتية و تقدم فهما افضل لصورة الجسد وهي : صورة الجسد المتخيلة ،صورة الجسد المثالية ،حجم الجسد الحقيقي ،الرضا عن الجسد ،يستخدم هذا المفهوم في العديد من المجالات مثل؛ الطب النفسي والتحليل النفسي والدراسات الثقافية والنسوية[3]،

المظهر :يتعلق المظهر الجسدي برؤية الفاعل نفسه فيما يتعلق بكيفية التواجد والحضور والتمثل ،ويتعلق الامر هنا بنوع اللباس وطريقة صيانة الشعر وحلقه وتزين الوجه والعناية بالجسد ...لخ اي يتعلق الامر

---

[1] شلنج :الجسد والنظرية الاجتماعية ،مرجع سابق،ص65

[2] دافيد لوبروتون :سوسيولوجيا الجسد ،مرجع سابق،ص59

[3] من موقع https://www.layalina.com/صورة-الجسد-أو-body-image-337697html ثم تصفحه 2021/04/26 على الساعة 24:00

بالنمط اليومي للظهور الاجتماعي وذلك بطريقة التمظهر الذي يخضع الى تأثيرات الموضة و اسلوب الحضور الذي يخضع للحالة البدنية للفاعل مثل القامة والوزن والصفات الجماعية ....لخ[1].

والمظاهر الجسدية المرتبطة بالتفاعل تختلف حسب المجموعات الاجتماعية ،طبقات السن ،الجنس الفاعل حسب انتمائه الى مجموعات تتميز بكيفيات وجود خاصة (مثل المدمنين على المخدرات أو المنعزلين ..الخ)

تقنيات الجسد : قدم مارسيل موس مفهوم تقنيات الجسد على انها حركات مسننة من اجل نجاعة فعلية او رمزية ،يتعلق الامر ب:كيفيات الفعل ،مقاطع متعاقبة للسلوك ،تزامنات عضلية متواصلة للوصول الى غاية معينة ،و باستحضار ذكرياته الشخصية (...) يقول بهذا الخصوص ان الجسد اول اداة طبيعية عند الانسان لقد تم تكييفه حسب الهابتوس او الاستعداد الثقافي فانتج عدة ممارسات فعلية ،وللتحديد يضيف موس انا اسمي تقنية ،ذلك الفعل التقليدي الناجع (انتم ترون انه غير مخالف للفعل السحري او الديني او الرمزي).

حيت ان تقنيات الجسد متعددة ويتطلب لتنفيذها استعدادات ومهارات وعلى هذا الاساس اقترح موس تصنيفا لتقنيات الجسد حسب مختلف زوايا النظر[2] :

-حسب الجنس :ان التعريفات الاجتماعية للرجل والمرأة تستدعي حركات مسننة بطريقة مغايرة .

-حسب السن : اشار الى تقنيات الخاصة بفن التوليد وبحركات الولادة وتقنيات الطفولة والمراهقة وسن البلوغ واشار ايضا الى تقنيات النوم والراحة والنشاط البدني (مشي ، جري ،رقص ،قفز ،سباحة ،تسلق ،نزول) ، وكل الحركات المتطلبة للجهد ،تقنيات النظافة والاستهلاك (اكل والشرب) ،تقنيات التوالد ،حيث اضاف كذلك الجنسانية الى تقنيات الجسد مذكرا بتغيير اوضاع الممارسة الجنسية وتقنيات التدليك .

-حسب المردودية : يفكر هنا موس في علاقة الجسدية بالبراعة والمهارة وتظهر في نشاطات ومهارات البهلوان في السرك ،و مهارة الحرفي ،الفنان ...الخ .

---

[1] دافيد لوبروتون :سوسيولوجيا الجسد ،مرجع سابق ،ص146

[2] نفس المرجع ،ص80

-**حسب اشكال انتقال هذه التقنيات** :بأية طرق وباي ايقاع يتم تلقين هذه التقنيات للأجيال ؟

يرجع اكتساب تقنيات الجسد من طرف الفاعلين الى تربية معقدة يلقنها المحيط للطفل بشكل مقصود (او حتى للبالغ الذي يبحث عن استعمال اخر لأشياء العالم) ،وتلعب التكيفية دورا لا يستهان به في هذه التربية ،وكل تقنية هي نتيجة لتعلم خاص مرتبط بعدة معطيات (فترة معينة من حياة الفاعل ،سنه ،جنسه وضعه الاجتماعي ،مهنته..الخ) ،لذلك فتقنيات الجسد واساليب استخدامها ليست هي نفسها من طبقة اجتماعية الى اخرى ،واحيانا حتى الطبقات العمرية البسيطة تأتي بتغيرات بهذا الخصوص[1].

كما سجل فرانسواز لو (..) ان تقنيات الجسد تختفي مع اختفاء الحياة الاجتماعية والثقافية التي منحتها الوجود (..)وان استعمال بعض اجزاء الجسد كأدوات لا يجعل من الانسان الة ،فحتى الحركات التي يقوم بها والمعدة تقنيا تحتوي لا محالة على معنى وقيم[2] .

_**الرسومات الجسدية** : تكمن في الوشم الاجتماعي والثقافي للجسد ان يتم من خلاله كتابة خط مباشرة على جسم الفاعل ،حيت يمكن ان يكون على شكل حذف او على شكل تشويه او على شكل اضافة ،وهذا التشكيل الرمزي معمول به داخل المجتمعات البشرية ،فهي تدمج الانسان رمزيا داخل الجماعة او داخل العشيرة ،لكنها تفصله في الوقت ذاته عن باقي الناس في جماعات او عشائر الاخرى وايضا عن الطبيعة المحيطة به[3] .

-**الجندر (اعادة تشكيل الجندرية)**:هي مقاربة تهتم بدراسة النوع البشري في انقساماته الجنسية الى الذكورة والانوثة و العلاقة بينهما وبالإضافة الى اعادة تصنيف الاختلاف بين الجنسين حسب الممارسات الاجتماعية التي تنفي او تتجاوز البعد البيولوجي ،واقترن تزايد هذا النوع من المقاربات مع تصاعد الحركات المنادية بحقوق المرأة و مساواتها بالرجل في جميع الميادين .

---

[1] نفس المرجع ،ص85

[2] نفس المرجع ،ص87

[3] نفس المرجع ، ص114

وظهرت الدراسات الجندرية او الجنوسة لتحليل العلاقة بين الجنسين والسعي لتكريس مبادئ المساواة بينهما ، كما ان صناعة وانتاج الجندرية مرتبط اساسا بجهاز اجتماعي مخيالي ينتج المفاهيم المتعلقة بالأنوثة والذكورة وبالعلاقة بينهما وبالمجتمع وذلك وفقا من سلسلة من معايير بيولوجية او ثقافية قد توظف في تبرير وتشريع التصنيفات الاجتماعية الاصلية بطرق تقمع المرأة بوصفها الجنس الاضعف ،من خلال هذا المنظور انه ليست كل الاجساد تتغير وفق صور غالبة للذكورة والانوثة ،وان ثمة اشياء كثيرة يمكن ان يقوم بها الافراد لتطوير اجسادهم في اتجاهات مختلفة .

المحاضرة الحادي عشر :النظرية النسوية

اولا :تعريف النسوية

ان مصطلح النسوية مشتق من الجذر feminine ويعادله في الفرنسية و الالمانية feminin ومعناه المرأة او الجنس الانثوي ،وهو مشتق من الجذر اللاتيني femina ويقال بان مصطلح النسوية دخل اللغة الفرنسية لأول مرة سنة 1837م وذلك في مقال بعنوان :الرجل –المرأة والتي طبعت سنة 1872م ،حيث استعمل هذا المصطلح لوصف النساء اللواتي يتصرفن بطريقة ذكورية ،ويقال ان تاريخ استخدام هذا المصطلح يختلف عن تاريخ ظهور النسوية لان مصطلح النسوية استخدم بعد مدة من بدء اعتراض النساء ونضالهن ولم يعتبروا انفسهن نسويين ،وتم تداول مصطلح النسوية فقط في الآونة الاخيرة فاطلق على جميع المجموعات التي تدافع عن حقوق النساء[1] ،من هنا تعد النسوية اتجاه ذو مراحل ومتغيرات وبدائل شتى ،اوجه الاختلاف بينها كثيرة ،لكنها تتفق جميعها على مساءلة البطريقية وقيمها بحثا عن حقوق و وجود المرأة فظهر مصطلح النسوية feminism لأول مرة في الفكر الغربي في نهايات القرن التاسع عشر بالتحديد العام 1895م[2] ، وقد نشأت خلال هذه الفترة مناهج فلسفية وسياسية متعددة ومتنوعة مثل النسوية الماركسية والنسوية

[1]نرجس رودكر :فيمينزم (الحركة النسوية)"مفهومها ،اصولها وتياراتها الاجتماعية "،بيروت ،لبنان: العتبة العباسية المقدسة ،المركز الاسلامي للدراسات الاستراتجية ،ط1 ،2019،ص14

[2]يمنى طريف الخولي:النسوية وفلسفة العلم ،المملكة المتحدة :مؤسسة هنداوي سي اي سي ،2017،ص12

الاشتراكية ونسوية ما بعد الحداثة ،ولقد ادى امتداد النسوية عبر التاريخ وتنوع اشكالها الى صعوبة تقديم تعريف واحد لها داخل الاطر الأكاديمية و كان السؤال الملح هو هل النسوية منهج او اتجاه ايديولوجي ام نظرية علمية ام حركة اجتماعية ؟ ،كما ان ماهية نظرية النسوية تختلف في مراحلها الاولية عن المراحل اللاحقة عنها في العصر الحاضر ،وكمثال على ذلك يمكن تعريف الانشطة النسوية في البداية الى سنة 1920م كحركة او كنهضة اجتماعية ،واما منذ سنة 1970م وما بعدها ،فدخل طرحها في نطاق النظرية والثقافة ،فاتخذت النظرية النسوية لون ونمط النظرية الاجتماعية [1].

تعتبر النسوية في اصولها حركة سياسية تهدف الى غايات اجتماعية تتمثل في حقوق المرأة واثبات ذاتها ودورها ،اما الفكر النسوي يمثل انساق نظرية من مفاهيم والقضايا و التحليلات تصف وتفسر اوضاع النساء وخبرتهن وسبل تحسينها وتفعيلها وكيفية الاستفادة منها ،النسوية اذا حركة او ممارسة تطبيقية تعمل على الساحة لتبديل اوضاع ملموسة وظروف اجتماعية ،تتداعم بالنظرية وتستلهم خطاها وتوجهاتها ،و النظرية بدورها تتشكل و تتفرع و تتطور بما يبدو عمليا وفعلا او مطلوبا في الممارسة [2]،وسميت بالنظرية النسوية بسبب طبيعتها البراغماتية (الواقعية) نظرية سياسية تسعى الى تقديم حلول علمية للقضاء على التمييز ضد المرأة ،ومن جهة اخرى اعتبرت النسوية نظرية انتقادية بسبب صبغتها النقدية التي يمتد نقدها ليشمل جميع جوانب حياة البشر [3] ،وبالتالي فان مصطلح النسوية feminism يمكن ان يوصف ككل الافكار و الحريات التي تتخذ من تحرير المرأة او تحسين اوضاعها بعمق هدفها الاصلي ،والنظريات النسوية الاخرى من رؤية اكثر بنائية لاضطهاد المرأة مركزة رؤيتها ليس بسبب التجاهل الفردي فقط ولكن ايضا من خلال اساليب مؤسساتية في المعيشة و التفكير [4] ،ولفهم وتحليل الحركة النسوية والنظرية النسوية تم تقسيم النسوية الى

---

[1] نرجس رودكر ، مرجع سابق،ص18

[2] يمنى طريف الخولي ، مرجع سابق ،ص11

[3] نرجس رودكر ، مرجع سابق ،ص18

[4] فليب جونز ، مرجع سابق ،ص139

ثلاث موجات :الموجة الاولى (1850/1792م الى 1920م) ،الموجة الثانية (1960م الى 1980م) ،و الموجة الثالثة (1980م وما بعدها) .

ثانيا :النظريات النسوية:

لقد ادت الحركات النسوية الى ظهور عدة نظريات التي تحاول تفسير التفاوت تمهيدا للتغلب على حالة اللامساواة الاجتماعية بين الرجال والنساء ،و تختلف هذه النظريات النسوية في ما بينها اختلافا كبيرا حول مسالة التفاوت الجنوسي ،رغم اتفاقها على ان المرأة لا تتمتع بوضع منصف في المجتمع ،وارجعت اسباب ذلك الى هيمنة الرجولة او البطريركية ،والتحيز الجنسي ،الرأسمالية ،والعنصرية ،والتفرقة ،والتفاوت الاجور ، و العنف ضد النساء ....الخ وسنحاول تحديدها باختصار على الشكل التالي :

1- النظرية النسوية الليبرالية:

يركز انصار النظرية النسوية اللبرالية على ثلاثة مبادئ رئيسية في نضالهم وهي :حرية الاختيار ،الفردية ، المساواة في الفرص ،لذلك تسمى النظرية الليبرالية ايضا بالنظرية المساواتية egalitarian feminism[1] ولتحقيق ذلك يركزون على التحيز الجنسي و التفرقة في المعاملة ضد النساء في اماكن العمل و في المؤسسات التعليمية و وسائل الاعلام الجماهيري فهم يحاولون الضغط على السياسيين لإيجاد فرص متكافئة للنساء عبر التشريعات السياسية و الاجتماعية (كحق الانتخاب و الحقوق المدنية) والاقتصادية مثل قوانين المساواة في الاجر والقوانين المناهضة للتمييز ضد النساء و القوانين الاخرى التي تجعل للنساء والرجال حقوقا متساوية امام القانون ،وثم تحقيق الاصلاحات بصورة تدريجية بفضل الضغوطات والنضال ، وهم بذلك يختلفون عن الحركة النسوية الراديكالية التي تسعى الى الاطاحة بالنظام القائم برمته[2].

[1] عصمت محمد حوسو :الجندر "الابعاد الاجتماعية والثقافية " ،عمان :دار الشروق ، ط1،2009 ،ص168

[2] انتوني غدنز ،كارين بيردسال : علم الاجتماع (مع مدخلات عربية) ،تر :فايز الصياغ ،بيروت :المنظمة العربية للترجمة ،مؤسسة ترجمان، ط4 ،2005، ص196

تعتبر الليبرالية النسوية من اكثر النظريات التي حققت انجازات منذ ان بدأت بعد الموجة الثانية من الحركة النسوية ،واسست منظمة Now /National Organization For Women في المجتمع الامريكي وهي منذ تأسيسها حققت انجازات وتغيرات كثيرة في الظروف الاجتماعية والمادية للنساء ،فقد اصبحت هناك قوانين تضمن فرص متساوية بين الجنسين في التعليم والتوظيف والباب مفتوح ايضا وبشكل قانوني لأي فرد يعاني من التمييز على اساس الجندر ،سواء في الاجور او التوظيف او الترقي ،واصبحت المرأة تسيطر على جسدها ،وتملك حرية القرار في الانجاب [1].

كما وجهت للحركة النسوية اللبرالية عدة انتقادات كإخفاقها في معالجة جدور التفاوت الجنوسي واسبابه العميقة نظرا لتناولها معاناة المرأة في مجالات صغيرة و محددة مثل التحيز الجنسي ، والتفرقة ،و الاعتوار الاجتماعي وتفاوت الاجور و يتهم انصار النسوية اللبرالية بانهم يشجعون النساء على قبول واقع اجتماعي يفتقر الى المساواة والعدل والانصاف ،ويغلب عليه الطابع التنافسي[2].

2- النظرية النسوية الراديكالية المتطرفة:

ان الحركة النسوية الراديكالية تعتبر ان الابوية هي مفتاح الحقيقي لفهم البناءات الاجتماعية ،ولذا تنعكس طبيعة الحكم الابوي بمالها من اوجه متعددة على تنوع القضايا والحملات والانماط في الحركة النسائية وبالتالي تختلف الحركات النسوية الراديكالية بحسب نوعية نظرتها الى الحكم الابوي وبطبيعة مواجهته[3]، حيث تنطلق النسوية الراديكالية المتطرفة من الاعتقاد بان الرجال هم المسؤولون عن استغلال النساء وهم المنتفعون في الوقت نفسه من هذا الوضع وفي نظر هذه الفئة ان النظام البطريكي او الابوي مع المعايير الاجتماعية والثقافية هما السبب في اخضاع المرأة في كل المجالات ،ويشير بعض انصار النظرية النسوية

[1] عصمت محمد حوسو، مرجع سابق، ص175

[2] انتوني غدنز ،كارين بيردسال ، مرجع سابق،ص196

[3] فليب جونز، مرجع سابق، ص143

الراديكالية الى العنف الذي يمارسه الذكور على النساء باعتباره عنوانا للتفوق الذكوري[1] ،ولا تؤمن المدرسة الراديكالية بان المرأة ستتحرر من القمع الجنسي عن طريق الاصلاح او التغير التدريجي ،اذ لا بد من الاطاحة بالنسق البطريكي الابوي لتحقيق المساوة بين الجنسين.

كما واجهت النظرية النسوية الراديكالية عدة انتقادات واول هذه الانتقادات هو ان مفهوم البطريكية لا يصلح وحده لتقديم تفسير عن قمع المرأة عبر المراحل التاريخية و في مختلف المجتمعات والثقافات ،وان ارجاع خضوع المرأة وقمعها الى عامل واحد يشكل منهجا اختزاليا ،شانه شان المنهج الممائل الاخر الذي يغزو تدني مرتبة المرأة الاجتماعية الى عوامل بيولوجية [2].

3- النظرية النسوية الماركسية:

تركز النسوية الماركسية على الوضع الاقتصادي للمرأة في المجتمعات الرأسمالية ، ولهذا فهي تؤكد أن الوسيلة الوحيدة لوضع حد لأشكال الاستغلال المختلفة الذي تعرض له المرأة يكمن في التخلص من النظام الرأسمالي وتأسيس نظام آخر بديل له، ولعل هذا التوجه هو ما يجعل هذا الاتجاه النسوي أقرب للتوجه الراديكالي بالرغم من طابعه الإصلاحي الواضح.

ولقد ساهمت النظرية الماركسية وكتابات ماركس في دراسة وضع المرأة وقد استخدم منظرو النسوية مفاهيم ماكس في الحديث عن اضطهاد للمرأة مثل الاغتراب والاضطهاد الاقتصادي ،فائض القيمة ،وقوة العمل الاحتياطية ،و الديالكتيك ،وان اهم ما يميز النسوية الماركسية عن غيرها من النظريات النسوية هو انها تعتبر بان الاضطهاد الطبقي هو الاضطهاد الاساسي للجنسين وان قمع المرأة ناتج عن التقسيم الطبقي لا عن العلاقات بين الجنسين [3].

---

[1] انتوني غدنز ،كارين بيردسال ، مرجع سابق،ص197

[2] نفس المرجع ،ص200

[3] عصمت محمد حوسو، مرجع سابق، ص179

المحاضرة الثانية عشر :نظرية الاختيار العقلاني

اولا : الجذور الفكرية:

ظهرت نظرية الاختيار العقلاني للرد على البنائية الوظيفية التي شيدها بارسونز تحت اسم نظرية التبادل (Exchange theory) في الولايات المتحدة التي ارتبطت منذ الخمسينيات باسم كل من جورج هومانز (George Homans) وبيتر بلاو (Peter Blau)؛ انطلقت من المبادئ الأولية لعلم النفس السلوكي. وتدعي النظرية في منطلقها الأساسي أن البشر يمارسون سلوكا يجلب لهم منافع ويشبع لديهم حاجات، وهذا المستوى من التحليل يقابل مستوى وحدة الفعل الصغرى عند بارسونز في بداية تحليله لعملية إيجاد المؤسسات، وفكرة التبادل باعتبارها مصدرا من مصادر التضامن الاجتماعي أو وسيلة من وسائله فكرة راسخة في تقاليد الأنثروبولوجيا الاجتماعية، وصورة المجتمع عند هذه النظرية تتلخص في أن نشاطات البشر المتبادلة ترمي إلى الحصول على الحد الأقصى من المنفعة، وهي تركز في ذلك على الإجراءات العقلانية التي يتبعها البشر في تقرير أفعالهم[1]،اي نتيجة تلاقي افراد يتمتع كل منهم بعقلانية غير محدودة لقد نسيبت نظرية الاختيار على يد الفيلسوف الأمريكي مايكل آلنجهام (Michael Allingham) الذي طرحها عبر كتابه "الاختيار العقلاني" (Choice Theory) الصادر عام 2002 الذي طرح به نظرية الاختيار العقلاني بهدف لتفسير الخيارات الإنسانية والدوافع المحفزة لها وفقا لأربعة سياقات أساسية ألا وهي: الشك واليقين والاستراتيجية والخيار الاجتماعي، حيث سياق اليقين تكون فيه الرؤية واضحة ومحددة، ويتبنى الفرد اختيارا معينا باعتباره هو اليقين المناسب، أما سياق الشك فهو التي يتعرض فيه الفرد للشك وعدم اليقين في الخيارات الشخصية، وبالتالي يختبر عددا من المشاعر السلبية مثل التردد والحيرة، بينما سياق الاستراتيجية

[1] ايان كريب، مرجع سابق، ص 111

يتوقف فيه الخيار الشخصي للفرد على عدد من العواقب الأخرى والخيارات البديلة، وبالنسبة لسياق الاختيار الجماعي فهو أحد السياقات التي يتبنى فيها الفرد خيارا معينا كنتيجة للتأثر بعدد من التوجهات الجماعية[1].

يشير بودون ان نظرية الاختيار العقلاني طرحت نفسها كنظرية ذات مرمى شمولي في مواجهة تيارات فكرية ترد السلوك الانساني الى عمل القوى الخارجة عن الفرد ،من مصالح واهواء واحكام قبلية يفرضها عليه المحيط الاجتماعي وقد ساهمت في تطوير علم الاجتماع وتوثيق الصلة بين الانسان الاجتماعي والاقتصادي[2] ،و ورت لكثيرين من علماء الاجتماع مجال الاعتقاد بانها البديل المنشود للنظرة التي ترى الكائن البشري خاضعا لقوى لا عقلانية ،كما تقدم اطارا نظريا عاما للعلوم السياسية والاجتماعية ولاسيما علم الاجتماع وقد تعاظم تأثيرها مؤخرا في مجال العلوم الاجتماعية .

ان نظرية الاختيار العقلاني المسماة ايضا نموذج المنفعة المرجوة اي نظرية التصرف التي تأسس عليها علم الاقتصاد النيوكلاسيكي ،قد طبقت بنجاح في خمسينات القرض الماضي على مختلف انواع الظاهرات غير الاقتصادية ،لاسيما السياسية منها ،ان نظرية الاختيار العقلاني تبدو في هذه السنوات الاخيرة وكأنها المحاولة الوحيدة الجدية التي تهدف الى تامين اطار نظري عام للعلوم الاجتماعية كما تؤكد مدرسة الفاعلين الاجتماعيين ان نظرية الاختيار العقلاني تعامل الفاعل الانساني كمجنون عقلاني ولا عقلاني في ان واحد يؤمن أصحاب نظرية الاختيار العقلاني بفكرة وجود المجتمع إلى حد التعصب، ويتخذونها منطلقا.

وترتبط هذه النظرية في بعض أشكالها بتيار اليمين السياسي، بيد أن الثمانينات، على وجه التحديد، شهدت ظهور مدرسة ماركسية تؤمن بنظرية الاختيار الحر العقلاني، مما يشكل مثالا على أنه لا يوجد ارتباط ضروري ببن النظرية والموقف السياسي .لكن الاعتقاد بالقول بوجود ارتباط بين طبيعة الحداثة ونظرية

---

[1] محمد السديمي: عرض وافي حول نظرية الاختيار العقلاني من موقع https://www.sanadkk.com/ تم تفحصه يوم 2022/1201 على الساعة 19:00

[2] ريمون بودون :ابحاث في النظرية العامة في العقلانية العمل الاجتماعي والحس المشترك، تر: جورج سليمان ،بيروت :مركز دراسات الوحدة العربية ،المنظمة العربية لترجمة ،ط1 ،2010 ، ص11

الاختيار العقلاني امر له ما يبرره .وستتضح صعوبة التمسك بفكرة المجتمع موضوعا للدراسة او بصفته شيئا موجودا بالفعل .

ولعل أسهل طريقة لإيضاح الخصائص المميزة لنظرية الاختيار العقلاني.هو التركيز على محاولتها بناء نماذج لما يقوم به الفرد إذا تصرف بعقلانية في موقف معين .مثلا، انا اعرف ما هو دخلي، وأعرف ما هي السلع والخدمات المتاحة لي واعرف ترتيب الأشياء التي أرغب في الحصول عليها .ولذا فإنني أستطيع ترتيب البدائل المتاحة لي بحسب ما أفضل .وهناك جانب نفعي واضح في نظرية الاختيار العقلاني: فانا اختار ما يجلب لي أكبر درجة من الاشباع او المنفعة، على جانب افتراض انني أعرف ما هو وضعي على الرغم من ان مسالة مقدار المعرفة اللازمة لي كيما أقوم بعملية اختيار عقلانية هي موضع خلاف في النظرية .والتفسير المنطلق من نظرية الاختيار العقلاني تفسير يعتمد على القصد، بمعنى انه يفترض ان رغبات الفرد ومعتقداته هي مبررات فعله، غير ان هذا التفسير يذهب إلى مدى أبعد إذ يدعي ان تلك الرغبات والاعتقادات هي أسباب للفعل .وتعالج اعمال نظرية الاختيار العقلاني مثل هذه القضايا الفلسفية، او تهتم بتعقيدات ترتيب الأفضليات[1]، وعلى هذا الاساس يندرج ضمن تسمية نظرية الاختيار العقلاني نوعان من النظريات :نظرية التبادل الاجتماعي و نماذج الفردانية المنهجية النفعية وخلال الستينيات والسبعينيات، وسع منظرون آخرون (بلاو، كولمان، كوك) نطاقه وسعوا إلى تطويرها، وساعد في تطوير نموذج أكثر رسمية للخيار العقلاني.

وقد سجلت نظرية الاختيار العقلاني نجاحات بارزة بإتاحتها تفسيرا شافيا للعديد من الظواهر التي تم تصنيفها في خانة الاقتصادي فضلا عن ظواهر اخرى كظواهر الجماهرية وعلم النفس الجماعي.

[1] ايان كريب، مرجع سابق، ص(112-113)

ثانيا: المبادئ الاساسية لنظرية الاختيار العقلاني

يمكن اختصار المبادئ الاساسية لنظرية الاختيار العقلاني كالاتي :

1-ان تفسير ظهارة اجتماعية معينة يكون بإظهارها نتيجة منطقية لمجموعة قضايا كل منها مقبولة في حد ذاتها

2-ان جودة احدى النظريات السوسيولوجية يتوقف على تفسيرها كل الظواهر الاجتماعية من دون استثناء على انها نتيجة مجموعة من الاعمال الفردية .

3-ينبغي تحليل الاعمال الفردية انطلاقا من كونها عقلانية

وقد اشار هوليس (hollis,1977) ان العمل العقلاني يفسر نفسه بنفسه ،اما جيمس كولمان (coleman,1977) ان تفسير اي عمل لا يعتبر ناجزا مالم تتم مقاربته كعمل عقلاني ،اما غاري بيكر (gary becker,1996) ان العلوم الاجتماعية تملك طريقتين لتحليل السلوك البشرى ،احدهما عقلانية ،والثانية لا عقلانية تنطلق في تفسيرها لسلوك باعتباره نتيجة قوى موضوعية لا شخصية ،ويضيف بيكر ان نموذج تاويج المنفعة وهي تسمية اخرى لنظرية الاختيار العقلاني من شانه ان يتسع ليشمل ايضا تفسير الافضليات الفردية [1] .

ان نظرية الاختيار العقلاني هي نظرية معيارية كما يقدمها جون الستر Jon elster حيث يشير النظرية الى اكفا وسيلة للوصول الى هدف معين في موقف معين ،ومن الامثلة على التفسيرات الاجتماعية التي تجري مجرى نظرية الاختيار العقلاني ،ما يطرحه جاري بيكر gary becker في الاقتصاد المنزلي الجديد وهو مثال ناقشته ليديا موريس lydia Morris اذ يرى بيكر ان تقسيم العمل في البيت هو نتيجة لاختيار عقلاني حول كيفية ايصال المنفعة الى اعلى درجاتها ،وذلك بتخصيص الوقت للسوق او للنشاط المنزلي ،وقد وجهت ليديا موريس انتقادين اساسين لهذا النمط من التفسير :الاول انه يفترض ان نظام المنزل هو

[1] ريمون بودون، مرجع سابق، ص86

وحدة عاملة قائمة على الاجماع (وجود اتفاق حر بين افراده) وهذا ليس بالضرورة صحيحا ،الثاني هذا التفسير لا يتعامل مع الصعوبات التي يواجهها البيت في رسم خططه وعليه فان بنية سوق العمل لا تعطي من البدائل قدر ما يفترضه بيكر[1].

مجمل القول هنا ان نظرية الاختيار العقلاني تنطلق بصورة اساسية من خلال مجهودات الافراد وتحقيق اقصى المنفعة التي تأتي من خلال استنتاجات الافراد ،ولكن هذا الهدف يتضح من خلال دقة الاختيارات التي تفرضها ظروف البناء الاجتماعي والسلوك الجمعي الذي هو نتيجة لعوائد الاختيار العقلاني ،ان نظرية الاختيار العقلاني تدرك حساب الفاعل العقلاني الذي يحدث داخل اتون الوجود الاجتماعي.

ثالثا: مسلمات نظرية الاختيار العقلاني

ان عدد مسلمات نظرية الاختيار العقلاني يربو في الواقع على الثلاث المذكورة انفا ،ولما كانت نظرية الاختيار العقلاني تشمل مجموعة نظريات حافلة بالمتغيرات ،ولتجاوز هذه المتغيرات النظرية سوف نعرض هذه المسلمات كتالي :

المسلمة الاولى (p1):تدل على ان كل ظاهرة اجتماعية هي نتيجة قرارات واعمال و مواقف ومعتقدات فردية 'الفردانية المنهجية).

المسلمة الثانية (p2):تقرر ان كل عمل هو قابل للفهم مبدئيا انه مبدا الفهم الذي يوجب اعتبار كل عمل وكانه نتيجة دوافع و مبررات يمكن تحديدها

المسلمة الثالثة (p3): تؤكد ان الاعمال الفردية التي تستأثر باهتمام العلوم الاجتماعية هي تلك التي تسببت بها في الاساس مبررات قائمة في اذهان الفاعلين الاجتماعيين (مسلمة العقلانية).

مسلمة الرابعة (p4): تؤكد ان هذه المبررات ناجمة عن وضع الشخص نتائج اعماله كما يتصورها هو في سلم الاولويات (مسلمة الاستتباعية او الاداتية).

[1] ايان كريب، مرجع سابق، ص114

المسلمة الخامسة (p5):تشير الى كون الاشخاص معنيين جوهريا بما تعود به اعمالهم عليهم وعلى اقاربائهم من نتائج اعمالهم 'مسلمة الانانية).

المسلمة السادسة (p6): تفترض ان في مستطاع الفاعلين الاجتماعيين تقدير النفقات والمداخيل على خطوط العمل الممكنة كلها ونزوعهم الى اختيار خط عمل الموازي لميزان التكاليف –الارباح الاكثر ايجابية (مسلمة التاويج او التوسع الاقصى)[1].

من خلال المسلمات الستة نرى ان الاختيار العقلاني ماهو الا وسيلة من الوسائل التي يعمل بها النسق ويعيد انتاج ذاته واصحاب نظرية الاختيار العقلاني يركزون على محاولة بناء نماذج لسلوك العقلاني للفرد من خلال اهداف واهواء ومصالح ذاتية .

المحاضرة الثالثة عشر :مستقبل النظرية السوسيولوجية (الحداثة وما بعد الحداثة)

ان المجهود السوسيولوجي و التراكم المعرفي عن الواقع الاجتماعي بكل جوانبه و مستوياته يعتبر محاولة ذات توجه مستقبلي تسعى من جهة الى فهم الواقع المعاصر بكل خلفيته التاريخية و لكنها تتجاوزه الى استشراف بدائل المستقبل الممكنة ،ومن جهة اخرى تسمح لنا بالتفكير في الحداثة وما بعد الحداثة مع امكانية الاختلاف و القطيعة مع التنظير السوسيولوجي الكلاسيكي في فهم الواقع الاجتماعي، كما ان مناقشة المنظور النقدي عن اشكال الأوربية للمعرفة تسمح لنا برؤية تلك النظريات والافكار ومدى تأثيرها على العالم من خلال ترابط العمليات و النماذج التي هي ذاتها في تفاوض و تطور باستمرار ،وتقدم العمليات و النماذج المختلفة تفسيرا ثريا لمفهوم الحداثة و ممارسات حديثة واكثر ملائمة للحاضر والمستقبل [2].

---

[1] ريمون بودون ، مرجع سابق، ص(87–89)

[2] جيرمندر ك.بامبرا :اعادة التفكير في الحداثة "نزعة ما بعد الاستعمار والخيال السوسيولوجي ،تر:ابتسام علام ،حنان محمد حافظ، القاهرة :مركز القومي للترجمة ،ط1 ،2016،ص125

ان يكون عالم الاجتماع اليوم هو ان يتأمل شروط مجتمع جديد والطريقة التي يمكن بها للازمة و القطيعة من جانب والصراعات الاجتماعية من جانب اخر ان تتحد جميعا لوضع تنظيم اجتماعي وثقافي جديد ،من العبث الحلم بمجتمع مثالي مع نسيان التمزقات و الانقلابات التي توشك على الحدوث[1] .

ولقد شكلت فكرة الحداثة و ما بعد الحداثة موضع اهتمام للعديد من الباحثين المعاصرين في علم الاجتماع ولا سيما في الغرب لأنها تواكب قضايا مجتمعاتهم الحاضرة ويعتبر رونالد روبرتسون من الباحثين الذين اهتموا بدراسة النظام العالمي منذ منتصف الستينات في اطار ما يسمى وقتها بعلم اجتماع البنى الكونية والدولية وصاحب هذا الاهتمام ابتكار مفاهيم مثل المجتمع ما بعد الصناعي ،مجتمع الوفرة ،مجتمع المتكامل ،القرية الكونية ،عصر التكنترون في محاولة لفهم قضايا العصر.

وتعد التغيرات التي طرأت على النظام الاجتماعي بسبب الثورة الصناعية وظهور النظام الراس مالي بطبعه الحديث نقلة تغييرا لتفكير والمناهج والنظريات واعادة تنظيم الواقع حسب متطلبات العصر ،ويشار الى هذا التغيير بالتحول من الحداثة الى ما بعد الحداثة وكما يقول جيمسون F. Jameson ما بعد الحداثة ليست مجرد كلمة لوصف أسلوب معين، وانما — على الأقل — مفهوم له وظيفة زمنية يربط بين ظهور نوع جديد من الحياة الاجتماعية ونظام اقتصادي جديد يعكس نمط استهلاكي لعبت فيه وسائل الاعلام وتكنولوجية الاتصال دورا هاما في تغيير البنية الاجتماعية لصالح الرأسمالية وهذا ماكده جيمسون : ان الأيدولوجية النزعة الاستهلاكية مكنت الرأسمالية من استمالة الناس حتى الفقراء منهم الى نظام الرأسمالي ،بل ان الذين تستغلهم الرأسمالية زرعت فيهم الامل في اشباع الاستهلاكي من خلال وسائل الاعلام –في حوارهم المحموم مع النظرية ما بعد الحداثة الى الادعاء بان الامور يمكن ان تتغير ،بل وينبغي ان تتغير الا انهم يزدادون حيرة حول كيفية حدوث ذلك"[2] .

---

[1] الان تورين :نقد الحداثة ،تر:انور مغيث ،القاهرة :مجلس الاعلى لثقافة ،المشروع القومي لترجمة ،1997،ص8

[2] مصطفى خلف عبد الجواد ،مرجع سابق ،صص(178–179)

اولا :الجدور الفكرية للحداثة

إن الفكر الأوروبي يشكل منطقة يترعرع فيها منطق وفكرة الحداثة وعليه استقطب مفهوم الحداثة اهتمام الفلاسفة والأدباء وعلماء الاجتماع منذ عصر النهضة حتى اليوم، واحتل مكانه المميز في الأنساق الفكرية الكلاسيكية عند" كارل ماركس "و"إميل دوركايم "و"ماكس فيبر "واستطاع لاحقا أن يأخذ مركز الأهمية في أعمال المحدثين ولاسيما" هابرماس "و"جيدنز "و"ليوتار "و"تورين."

و الواقع ان ازمة السوسيولوجيا يعود لابتعادها عن الذات وتفاعلاتها في الواقع المعاش تحت دعاوي الموضوعية مما جعل اصحاب ما بعد الحداثة يعيدون انتاجها من جديد ،بعدما تقاطعت الحداثة مع الفكر الديني والاوهام والفكر الميثولوجي فإنها قد امنت بالعلم والتكنولوجيا او العقل الادائي الذي من وجهة نظرها تمثل اصل الحداثة ،ومن ثم تحرر الانسان من حاجته او من أي شيء .

لقد اصبح تفسير علم الاجتماع للحداثة يقع في سياق المطابقة لمجال اجتماعي متميز و الفهم التاريخي لأشكاله و ساهم على اكتشاف الكون في حالة فوضى ،كما سهل توجه العلوم نحو التجريب المنهجي واستنباط قواعد ومبادئ عامة تحكم الطبيعة والسلوك البشري ،ومع تطور هذا الاهتمام للحداثة لم يعد الى المستقبل على انه عملية اعادة انتاج للحاضر ولكن بوصفه فضاء لتطور اكبر للمشروعات والتوجيهات (الحداثية)[1] و اتصفت الحداثة بانها مسار تاريخي تحكمه فكرة التنوير التقدمي او التصاعدي الذي يسير على قاعدة العودة الى الاسس اي الى اصول الاستحواذ عليها مجددا ، و تعد الحداثة مشروع غير مكتمل يتضمن العديد من المعاني والدلالات و حسب هابرماس يقوم اساسا على العلم والتقنية في رؤية عقلانية تتغلب فيها الثقافة على الطبيعة ويصبح فيها الانسان مركزا للكون ومصدر للقيم ،في حين و يعرفها كل من جيدنز أولريش بيك كما ذكرنا في المحاضرة السادسة بأنها عصر يكون فيه المجتمع الحديث أكثر وعيا بتبعات الحداثة خاصة تبعاتها السلبية ، ويؤمن بأن المشروع الحديث لتحسين الأوضاع الإنسانية(أي التقدم)

[1] جيرمندر ك.بامبرا، مرجع سابق، ص(60-93)

لا يزال إنجازه ممكنا وليس متأخرا لكي لا نستفيد من أخطائنا، ويستخدم جيدنز مصطلح الانعكاسية للإشارة إلى الوعي الناقد القوي، والذي يعتبره من الخصائص الأساسية للحداثة المتأخرة.

ان الحداثة تبعا لتصور السابق ماهي الا نوع من انماط الحياة التي تنفي فيها العلاقات الاجتماعية و العواطف و الاعراف و المعتقدات التي هي من وجهة نظرها تقليدية ،الامر الذي جعل العقل لديها هو فاعل التحديث وليس أي شيء اخر ،او قل ان العقل لديهم هو بؤرة الفعل الذي من شانه ان يغير المجتمعات الانسانية الى اخرى عقلانية حديثة[1] .

يطلق مصطلح الحداثة بوجه عام على مسيرة المجتمعات الغربية منذ عصر النهضة إلى اليوم ويغطي مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأدبية، و تستند الحداثة حسب جيدنز الى الخصائص التالية :

_ الخروج من دائرة الوصاية التاريخية و الافكار الفلسفية الكلاسيكية التي فرضت على العقل الانساني في العصور القديمة .

– تعزيز القيم الديمقراطية والحرية الانسانية لدى الانسان الحر في مختلف ميادين المجتمع وقضاياه .

– تفعيل سيادة العقل في مختلف مجالات الحياة السياسية والوجود الاجتماعي من خلال العقلانية التي تحمل مبادئ التنوير وقيمه.

– الحداثة حالة تنبثق من صميم المجتمع ولا يتم استيرادها[2].

[1] عيسى عثمان، مرجع سابق، ص207

[2] A Giddens : les conséquences de la modernité, Harnatte, Paris,1994, P110

اولا :الجدور الفكرية ما بعد الحداثة :

تمتد مرحلة ما بعد الحداثة (Post Modernism) من سنة 1970م الى سنة 1990م ويقصد بها النظريات و التيارات و المدارس الفلسفية والادبية والنقدية والفنية و السوسيولوجية التي ظهرت في فترة الحداثة البنيوية والسيميائية واللسانية .

وقد جاءت ما بعد الحداثة لتقويض الميتافيزيقا الغربية ،وتحطيم المقولات المركزية التي هيمنت قديما وحديثا على الفكر الغربي كاللغة ،الهوية ،والاصل والصوت والعقل ...وقد استخدمت في ذلك اليات التشتيت ، التشكيك والاختلاف والتغريب ،وتقترن ما بعد الحداثة بفلسفة الفوضى والعدمية والتفكيك و اللامعنى واللانظام وتتميز نظريات ما بعد الحداثة عن الحداثة السابقة بقوة التحرر من قيود التمركز والانفكاك عن اللوغوس والتقاليد وما هو متعارف عليه و ممارسة كتابة الاختلاف والهدم والتشريح و الانفتاح على الغير عبر الحوار والتفاعل و التناص ومحاربة لغة البنية والانغلاق والانطواء ،مع فضح المؤسسات الغربية المهيمنة و تعرية الايديولوجيا البيضاء ،والاهتمام بالمدنس والهامش والغريب والمتخيل والمختلف والعناية بالرق واللون والجنس والانوثة وخطاب ما بعد الاستعمار .[1]

و وفق ما ذكر سابقا ان مرحلة ما بعد الحدثة قدم تصويرا دقيقا لسمات المميز للفكر الغربي في جميع التيارات والمدارس حيث يربط المفكرون بين ظهور هذا الاتجاه وظهور الاتجاه النقدي، وذلك للأسس التي قامت عليها الحداثة و أخذ هذا تيار طريقه إلى علم الاجتماع، كحركة معمارية. وقد اختلف المفكرون بين القبول والرفض لهذا المفهوم.(ما بعد الحداثة) فالبعض أمثال هابرماس رفض مفهوم ما بعد الحداثة، مبررا ذلك بأن الحداثة نفسها لم تتحقق بعد ، في حين يرى فريق خر من بينهم لان تورين أنه يمكن تحسين الحداثة

[1] جميل الحمداوي :نظريات علم الاجتماع ،مرجع سابق ،ص100

والتخلص من سلبياتها وإعادة بناءها من جديد. بالمقابل هناك من يدافع عن هذا التيار أمثال فرنسوا ليوتار، معتبرا أن دخول ما بعد الحداثة اسقط النظريات الكبرى[1].

اكد معظم ما بعد الحداثة ان العالم الحديث يزداد انقساما وتنوعا اجتماعيا وثقافيا ،نافين بذلك التجانس والانتظام الموحد وقدموا في الوقت ذاته نقدا للعقلانية و الموضوعية حيث يقولون بسيادة اللاعقلانية في الفكر العلمي وخاصة بما يتضمن من افتراض العقلانية كأساس للتقدم والرفاه العالمي ،الامر الذي يعطي المؤسسات والنظم الحديثة شرعية زائفة و وهمية ،كما نقدوا ادعاء الموضوعية بناء على تبني افتراضات وجدت بذورها و جدورها في عصر التنوير و بهذا رفض اصحاب بعد الحداثة كفوكو و دريدا الوضعية وكل اتجاه نظري يدعي الموضوعية [2].

وقد اخذت عملية المساءلة العقلانية ترتد على نفسها بشكل متزايد ذلك ان ثمة عملية متواصلة بثبات لتجريد المعرفة او على الاقل المعرفة اليقينية من اساسها و حسب تعبير ليوتار قد يمكننا القول ان عمليات السرد المرجعية تقوض نفسها بنفسها ونتيجة هذه العملية هي كمن يقوم بمساءلة نفسه باستمرار عن دوافعه الذاتية .

ويرى جيدنز ان الصيغة الصحيحة لما بعد الحداثة تقتضي القطيعة مع تلك العمليات ولذا فهو يرفض اغلب ما تقوله نظرية ما بعد الحداثة حول النسبية في كل المجالات لكن سكوت لاش Scott Lash في كتابه علم اجتماع ما بعد الحداثة 1990م يبدي تعاطفا اكبر مع هذا المنظور و هو في مجمله مستلهم من عالم الاجتماع بيير بورديو ،ويرى لاش ان حركة ما بعد الحداثة تنطوي على قلب لنمط تطور الحداثة القائم على التمايز في استقلال مختلف مجالات الحياة الاجتماعية .

---

[1] عبد العالي دبلة :ما بعد الحداثة في النظرية السوسيولوجية المعاصرة ،مجلة الباحث الاجتماعي ،قسنطينة :منشورات جامعة منتوري ،العدد الثالث ،سبتمبر 2001،ص24

[2] عيسى عثمان، مرجع سابق، ص195

يرى دافيد هارفي David Harvey في كتابه حال ما بعد الحداثة 1989م انفي ما بعد الحداثة تغيرا حقيقيا على مستوى من مستويات اعمق في النسق نفسه [1]

و يصف بومان الاختلاف بين التوأمين اللذين يفصلان مجتمع ما بعد الحداثة عن مجتمع الحداثة على النحو التالي[2]:

1 –مجتمع ما بعد الحداثة متحرر من الوعي الزائف أو الاوهام المتفائلة للحداثة.

2 –مجتمع ما بعد الحداثة نمط جديد من الاوضاع الاجتماعية التي بنيت او تأسست بلغة بومان على مجموعة كلية من الخصائص السلبية إلى حد كبير، مثل الدمار البيئي، وهي الخصائص التي لم تكن متوقعة او لم يكترث بها في مرحلة الحداثة.

و تحاكي هاتان النقطتان تحليل جيدنز لم يعتقد انهما دليل على الادعاء بأن المجتمع الغربي تجاوز الحداثة او انتقل إلى ما بعد الحداثة .و إذا كان جيدنز يرى ان المشروع التحديثي لضبط التقدم لم يتحقق بعد، فإن بومان يؤكد على استحالة تحقيقه.

القضايا الأساسية لنظرية ما بعد الحداثة :ويمكن حصرها في النقاط التالية[3] :

–هل تمثل ما بعد الحداثة فترة يكون فيها ثمن التقدم أي التدمير البيئي أكثر أهمية من تحقيق مزيد من التقدم المادي؟

–هل حلت قضايا الثقافة، المعرفة كل القضايا الاقتصادية والمادية كأحد الملامح المميزة لمجتمع ما بعد الحداثة؟

–هل حدثت العولمة بالفعل، أي هل يوجد حاسم في ماهية قوة الاتصال التي أنتجت مجتمعا ذكوريا؟.

---

[1] ايان كريب، مرجع سابق، ص(151–152)

[2] مصطفى خلف عبد الجواد ، مرجع سابق، ص154

[3] نفس المرجع ،ص526

-هل تضاءلت أهمية المسائل الطبقية مقارنة بمسائل النوع الاجتماعي، السلالة، العرق والجنسية وغيرها من الأسس الأخرى للهوية؟

-هل أضحى الفراغ، الاستهلاك أكثر أهمية من العمل، الإنتاج؟

الاسهامات التي قدمها رواد ما بعد الحداثة

تستمد كتابات ما بعد الحداثة بعض مقولاتها مما جاء في ما بعد البنيوية وخاصة بعد الحركات السياسية الاجتماعية عام 1968م ومنها الحركة الطلابية ، كما استند اصحابها لما كتب عن المجتمع ما بعد الصناعة وخاصة كتابات دانيل بيل Danniel Bell والان تورين Alain Touraineحيث تم التركيز على اهمية المعرفة و المعلوماتية في المجال الاقتصادي .

فقد استمد اصحاب العالم عالم صور ورموز، فتم استبدال اهمية علاقات الانتاج بالرموز ولهذا تصبح اللغة مركزية في انتاج المعرفة بما في هذا المعرفة العلمية[1] .

وركز اصحاب ما بعد الحداثة على نقد المجتمع الرأسمالي والمعرفة التي انتجها ويظهر هذا واضحا في كتابات جين فرانسوا ليوتانJean . Francois Lyotand وجين بودريلار Jean Boudrillaed في نقد كل منهما الشرعية المعرفة و المجتمع الرأسمالي .

يرى من يأخذون باستمرارية الحداثة و رفض مفهوم ما بعد الحداثة امثال هابرماس ودافيد هارفي انه رغم التغيرات فان المنطلق الذي يحكم الرأسمالية و مجتمعاتها يبقى نفسه ،فلاعتراف بهذه التغيرات وتسارع وتيرتها لا يعني الخروج عن الحداثة وان فكرة ما بعد الحداثة لا يتعدى كونه نقدا للحداثة و بهذا تنحصر اهميته في بيان مشكلات الحداثة ،من هذا ينظر الى افكار فوكو ودريدا ولاكان وغيرهم من امثالهم على انها نقد للحداثة

[1] نفس المرجع ،ص (101-102)

بما يؤكدونه من عالم يزداد انقساما وتنوعا ثقافيا و اجتماعيا وان اللاعقلانية سادت الفكر العالمي وزيف ما جاءت العقلانية من ادعاء التقدم والرفاه[1].

وفي ضوء ما تقدم يمكن القول أن مرحلة الحداثة تمثل السوسيولوجية الماكرو Macro بينما تكون مرحلة ما بعد الحداثة تمثل السوسيولوجيا الميكرو Micro، تلك التي تهتم بدراسة الذات وتحاول أن تنهي إلى الأبد مرحلة الحقائق اليقينية.

خاتمة

من خلال المحاضرات يمكننا ان نستخلص ان هذه النماذج النظرية المعروضة من خلال ثلاث عشر نظرية لكل نظرية عدد من المنظرين الاجتماعيين ومبادئ والاسس والتطبيقات العلمية على البحوث العلمية فضلا على انها تنتج معارف متباعدة ومتقاربة في نفس الوقت :متقاربة من جانب تحليل الوقائع الاجتماعية القابلة لنقد والتنفيذ و متباعدة من خلال الممارسات الاجتماعية المختلفة وتهتم كذلك بالتنسيق بين نتائج الدراسات الاجتماعية في العلوم الاجتماعية المختلفة كالاقتصاد والدين والسياسة و التربية التي تحكم السلوك الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية ومسيرة الهياكل و النظم الاجتماعية الفرعية بصفة عامة.

[1] نفس المرجع، ص(105-106)

قائمة المراجع

1- ابو النور حمدي ابو النور حسن :يورجين هابرماس/ الاخلاق و التواصل ،بيروت :التنوير للطباعة و النشر و التوزيع ،2012

2- احسان محمد الحسن : النظريات الاجتماعية المتقدمة "دراسة تحليلية لنظريات الاجتماعية المعاصرة "،دار وائل لنشر ،ط3 ، 2015

3- احمد زايد:علم الاجتماع النظريات الكلاسيكية والنقدية، القاهرة :دار الكتب المصرية ،1984

4- ارفنج زايتلن :النظرية المعاصرة في علم الاجتماع "دراسة نقدية" ،تر: محمود عودة ،ابراهيم عثمان ،الكويت :ذات السلاسل لطباعة والنشر والتوزيع ،1989

5- الان تورين :نقد الحداثة ،تر:انور مغيث ،القاهرة :مجلس الاعلى لثقافة ،المشروع القومي لترجمة ،1997

6- انتوني جيدنز :قواعد جديدة للمنهج في علم الاجتماع ،تر: محمد محي الدين ،القاهرة :مجلس الاعلى لثقافة ،2000

7- انتوني غدنز ،كارين بيردسال : علم الاجتماع (مع مدخلات عربية) ،تر :فايز الصياغ ،بيروت :المنظمة العربية للترجمة ،مؤسسة ترجمان، ط4 ،2005

8- ايان كريب: النظرية الاجتماعية من بارسونز الى هابرماس ،تر: محمد حسين غلوم ،الكويت :سلسلة عالم المعرفة ،العدد244 افريل 1999

9- بيار انصار :العلوم الاجتماعية المعاصرة ،تر:نخلة فريفر، بيروت:مركز الثقافي العربي، ط1، 1992

10- جميل حمداوي :نظريات في علم الاجتماع ،المغرب :شبكة الالوكة ،ط1،2015

11- جميل حمداوي :اسس علم الاجتماع ، الالوكة لنشر الالكتروني،ط1، 2015

12- جميل حمداوي :ميادين علم الاجتماع ،شبكة الالوكة لنشر الإلكتروني، ج1 ،ط1 ،2015

13- جون ليشته :خمسون مفكرا اساسيا معاصرا من البنيوية الى ما بعد الحداثة ،تر :فاتن البستاني ،بيروت ،المنظمة العربية لترجمة ،ط1،2008

14- جيرمندر ك.بامبرا :اعادة التفكير في الحداثة "نزعة ما بعد الاستعمار والخيال السوسيولوجي ،تر:ابتسام علام ،حنان محمد حافظ، القاهرة :مركز القومي للترجمة ،ط1 ،2016

15- خوجة عبد العزيز :اساسيات في علم الاجتماع ،الجزائر: دار نزهة الالباب للنشر والتوزيع،2012

16- دافيد لوبروتون :سوسيولوجيا الجسد ،تر: عياد ابلال ،ادريس المحمدي ،القاهرة :روافد للنشر والتوزيع ،ط1، 2014

17- دومنيك فينك: علم اجتماع العلوم ،تر: ماجدة اباظة ، المجلس الاعلى لثقافة ،2000

18- رث والاس ،السون وولف :النظرية المعاصرة في علم الاجتماع تمدد افاق النظرية الكلاسيكية ، تر: محمد عبد الكريم الحوراني، عمان :دار المجدلاوي لنشر والتوزيع ، 2011

19- ريمون بودون :ابحاث في النظرية العامة في العقلانية العمل الاجتماعي والحس المشترك، تر: جورج سليمان ،بيروت :مركز دراسات الوحدة العربية ،المنظمة العربية لترجمة ،ط1 ،2010
20- شحاتة صيام :النظرية الاجتماعية من المرحلة الكلاسيكية الى ما بعد الحداثة ،القاهرة : مصر العربية للنشر والتوزيع ،ط1، 2009
21- طلعت ابراهيم لطفي ،كمال عبد الحميدات الزيات : النظريات المعاصرة في علم الاجتماع ،القاهرة :دار غريب لطباعة والنشر والتوزيع ،1999
22- عبد العالي دبلة :ما بعد الحداثة في النظرية السوسيولوجية المعاصرة ،مجلة الباحث الاجتماعي ،قسنطينة :منشورات جامعة منتوري ،العدد الثالث ،سبتمبر 2001
23- عبد العزيز بن على الغريب :نظريات علم الاجتماع "تصنيفاتها ،اتجهاتها وبعض نماذجها التطبيقية من النظرية الوضعية الى ما بعد الحداثة ، الرياض :دار الزهراء لنشر والتوزيع،ط1 ،2012
24- عصمت محمد حوسو :الجندر "الابعاد الاجتماعية والثقافية " ،عمان :دار الشروق ، ط2009،1
25- علي بن عمر فؤاد الكاشف : النظريات الاجتماعية الاتجاهات والمذاهب الكلاسيكية المعاصرة، نشر شخصي للمؤلف ،2000، ط1
26- فليب كابان ،جان فرانسوا دورتيه :علم الاجتماع "من النظريات الكبرى الى الشؤون اليومية اعلام وتواريخ وتيارات" ،تر: أياس حسن ،دمشق :دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع ،ط1، 2010
27- فيليب جونز: النظريات الاجتماعية و الممارسة البحثية ، تر: محمد ياسر الخوجة ،القاهرة :مصر العربية للنشر و التوزيع ،ط1
28- كرس شلنج :الجسد والنظرية الاجتماعية ،تر: منى البحر ،نجيب الحصادي ، الامارات العربية المتحدة :دار العين للنشر ،ط1 ،2009
29- مازن مرسول محمد :حفريات في الجسد المقموع مقاربة سوسيولوجية ثقافية ،لبنان :مكتبة التنوير ،ط1 ،2015
30- محمد عبد الكريم الحوراني : النظرية المعاصرة في علم الاجتماع التوازن التفاضلي صيغة صيغة توليفية بين الوظفية والصراع ، عمان :دار المجدلاوي لنشر والتوزيع، 2008، ط1
31- مصطفى خلف عبد الجواد: علم اجتماع المعاصر، عمان: دار المسيرة للنشر و التوزيع، طبعة الثانية، 2011
32- ميشال دبو:مدخل الى علم اجتماع العلوم ،تر:سعود المولى ،بيروت :مركز دراسات الوحدة العربية ،ط1،2008
33- ميل تشيرتون ،وان براون :علم الاجتماع :النظرية والمنهج ،تر: هناء الجوهري ،ط1 ، 2012
34- نرجس رودكر :فيمينزم (الحركة النسوية)"مفهومها ،اصولها وتياراتها الاجتماعية "،بيروت ،لبنان: العتبة العباسية المقدسة ،المركز الاسلامي للدراسات الاستراتجية ،ط1 ،2019

35- نيكولاس لومان:مدخل الى نظرية الأنساق، تر: يوسف فهمي حجازي، بغداد منشورات جمل، ط1، 2010

36- يمنى طريف الخولي:النسوية وفلسفة العلم ،المملكة المتحدة :مؤسسة هنداوي سي اي سي ،2017

37- A Giddens: les conséquences de la modernité, Harnatte, Paris,1994
38- Jean Nizet :la sociologie de anthony giddens, ed :la découverte,paris ,2007
39- Pierre Bourdieu et Jean-Claude Passeron: Les Héritiers Les Etudiants et la Culture, les éditions de minuit, 1964
40- Pierre Bourdieu: question de sociologie, paris, Ed : de minuit, colle le sens commun, 1980,

المواقع

https://www.sagepub.com
https://stringfixer.com/ar/Standpoint_feminist_theory
https://www.makalcloud.com/post/jwd3i9nyx
https://adhwaa.net
https://www.makalcloud.com/post/67p31j520
-body-image-337697html.
https://www.layalina.com/
https://www.sanadkk.com/